السلسلة الأدبيّة
٣

ابن الرومي

الشاعر الوجِلْ

تأليف
عبد الغني خمّاس

«السلسلة الادبية»

ابن الرومي
الشاعر الوجل

عبدالغني خماس

مطبعة عصام – بغداد هاتف ٤١٥٤٥٨٢

توطئـــة

لا مندوحة ــ ونحن ندرس ابن الرومي ــ ان نطل اطلالة عابرة على القرن الثالث الهجري ، القرن الذى عاش فيه شاعرنا وعاصـر كل الظروف والملابسات ، التي احتواها ذلك القرن الذى يعتبر بحق ، من اخطر العصور الاسلامية .

فأليه انتهت ثقافات الامم التي دخلت الاسلام ، ودانت به . حقا ان آثار الحضارات الوافدة بدأت تعمل عملها منذ ان اتصل المسلمون العرب بغيرهم من الشعوب . ولكن معارف الشعوب الوافدة وحضاراتهم قد تبلورت ، واتخذت اشكالها النهائية فى القرن الثالث الهجري .

فبعد ان كان الاسلام هو المرجع الاول والاخير فى كل القضـايا الفكرية والدينية والاجتماعية ، يرجع اليه فى كل صغيرة وكبيرة بدأت علوم الاقوام الداخلة فى دين الاسلام وفلسفاتهم ، وحتى بعض مبادئهم الدينية تزحف شيئا فشيئا . فكلما زاد نفوذ تلـك الاقوام فى مجـال السياسة ، فسحوا المجال لمبادئهم ولمعارفهم ولعقائدهم ان تزاحم العلوم العربية والاسلامية .

ففي هذا القرن تمركزت ، المبـادىء الوافـدة ، بعد ان استطاع الغرباء ان يهيمنوا على السلطة ، بل وصل الحـال ان بعض الشعوبيين راح يهاجم العلوم العربية والشريعة الاسلامية جهـارا . بالاضافة الى قيام دعوات سرية وعلنية ، ظاهرها الاصلاح وباطنهـا تقويض التراث العربي الاسلامي . مثالا على ذلـك حركة اخوان الصفاء ، التي كانت

تتظاهر بخدمة العلم وتحبيبه الى الشباب ولكن غايتها تقويض مبادئ الدين والتشكيك بقيم الشريعة الاسلامية السمحاء .

أما الفلسفة التي كان لها نفوذ كبير في هذا القرن ، فراحت هي الاخرى تزرع الشكوك حول القيم الاسلامية ، والعلوم الشرعية . وتشجع على الثورة ضد التراث العربي الاسلامي . وقد تعددت المذاهب وكثرت النحل ، واختلفت الاحزاب والملل . فقد تشعبت فرق المعتزلة ، واختلفت مذاهب السنة ، هذا اضافة الى الحركات الهدامة ، التي قامت ضد السلطة العربية والدين الحنيف كتلك الحركة الشعوبية الخطيرة ، التي ظهرت في عهد الرشيد ، وتزعمها البرامكة ، فاستطاع الرشيد بدهائه وحكمته ان يقضي عليها وعلى من كان يترأسها .

أما الشعوب التي دخلت الاسلام ، فقد حملت معها الكثير من عقائدها السابقة ، بالاضافة الى معارفها وآدابها وأخلاقها .

أذن ، كان العراق يمور بهذا السيل الجارف من المعتقدات والحركات وخاصة بغداد العاصمة فقد كانت تحفل بالمتفلسفين والحكماء والفقهاء لانها العاصمة ، والعواصم دائما تحمل العبء الاكبر في أي تحول أو تغير يطرأ على المجتمعات ، ناهيك أن العراق كان واسطة العقد في الخلافة الاسلامية ، لانه كان يتوسط العالم الاسلامي المعروف آنذاك . وهو بالوقت نفسه – قريب من البلاد الفارسية التي كانت تتسرب منها مثل هذه الدعوات والآراء والمذاهب ، التي كانت بعيدة عن المناخ الاسلامي . وفي كثير من الاحيان كانت تعقد المجالس والندوات الفكرية والفلسفية ، فتثار فيها مسائل قد تتعرض من قريب أو بعيد الى مواقف المعارف التراثية العربية ، من بعض القضايا الفكرية والاجتماعية . ونحن لا ننكر ان هذه الدعوات والافكار الوافدة ، كان

لها جانب ايجابي ، فلقد حفزت الكثير من العلماء ورجال الدين الى استعمال الوسائل الفكرية والفلسفية والمنطقية للتصدي ومجابهة تلك الحالات . يقول المرحوم العقاد « فاذا رأيت الاباحة والترخص في جانب ، لم تلبث ان ترى الغلو والتشدد في الجانب الاخر » وقد انسحب هذا التغير على كل جوانب الحياة في هذا القرن . فلم يبق افراد المجتمع متماسكين محافظين على نقاء اخلاقهم وصفاء نفوسهم ، وانى لهم ذلك وقد راحت يد الاجانب الوافدين تعبث بمقومات المجتمع التي كانت رصينة في أبان العهود الاسلامية الاولى .

فشاعت المراوغة والمخادعة والمخاتلة ، وانتشر الحسد والايقاع بالغير ، واستلام السلطة بعد زوال سلطانهم الى غيرها من الصفات التي حرمها الاسلام ، ووقف منها الخلق العربي ، وقفة المتهيب الحذر أما الحالة السياسية فقد تدهورت ، ووصلت الى أسوأ ماوصلت اليه الان أمورها انتقلت الى غير العرب من فرس واتراك وديلم تلك الشعوب التي أنضوت تحت جناح الاسلام ، فراح يتدخل زعماؤهم في شؤون السياسة لصالح فريق دون آخر او يكون نصيرا لحزب على غيره من الاحزاب ، كما وقف الفرس الى جانب العباسيين ، ضد الامويين ، وآزروهم يوم قام هؤلاء بالانقضاض على الخلافة الاموية .

وقد هييء لبعض الخلفاء من بني العباس ، وخيل اليهم ، أنه لو لا العنصر الفارسي وموازرته ، لما استطاعوا ان يقيموا دولتهم فلهذا قربوا هذا العنصر من الحكم ، وأسندوا اليه الوزارات والولايات ، عرفانا منهم بأفضال هذا العنصر عليهم وعلى دولتهم ولكن سرعان ما بدا لهم سوء فعلتهم هذه ، بعدما ان أحسوا بخطر هؤلاء على الخلافة وعلى الاسلام نفسه .

فراحوا يتخلصون منهم كما فعل الرشيد مع البرامكة ، حصل هذا عندما كانت الخلافة العربية قوية متماسكة ، أما في القرن الثالث الهجري ، فقد حصل العكس تماما ، اذ راح الاتراك والفرس يتخلصون من الخلفاء بعزل بعضهم وقتل البعض الاخر .

حقا ان آل النبي (ص) من عباسيين وعلويين قد أصابهم بعض الاضطهاد على أيدي الامويين الحاكمين، ولكن هذا لايعني ان يصل الامر بين هؤلاء الخلفاء والعنصر العربي الى العداء السافر : متوهمين انهم بعدائهم هذا للعرب سيضمنوا صداقة العنصر الفارسي الغريب الى الابد .
والدليل على هذا ما كتبه ابراهيم بن محمد بن علي – صاحب الدعوة السرية – ضد الخلافة الاموية قبل السفاح .. كتب الى أبي مسلم الخراساني يحضه على التخلص من العنصر العربي بخراسان قائلا :

« ان استطعت ان لا تدع بخراسان لسانا عربيا فأفعل ، فأيما غلام بلغ خمسة اشبار ، تتهمه ، فأقتله » .

هذا الاتجاه الخطير ، قد ترك الباب مفتوحا أمام العناصر غير العربية ان تعبث بكل القيم ، وان تفعل ما يحلو لها ، وان تقتحم كل الثغرات للقضاء على الخلافة العربية ولم يطل بها الوقت ، حتى استطاعت ان تحقق كل احلامها ولا داعي ان نذكر ما أقدم عليه الخليفة المعتصم ، يوم أعتمد على الجند الاتراك ، لان أمه كانت تركية ، ونبذ قومه مستكفيا بهم عن أهله وبني عشيرته،فما كانت النتيجة ؟ لقد عتا القادة الاتراك عتوا كبيرا ، فراحوا يعيثون في الارض فسادا ، فشرعوا يعبثون بالخلافة ، بل بالخلفاء أنفسهم ، فقد قتلوا الخليفة المتوكل ، وخلعوا ثلاثة خلفاء آخرين، ما لبثوا ان قتلوهم ، وهم المستعين ، والمعتز والمهتدى .

أما الوزراء والامراء والكتاب ، فقد نالهم اضعاف ما نال الخلفاء من قتل وسجن وتعذيب واستئصال أموال • وكان الامر يهون ، لو ان الخليفة أو الوزير ، يقتل او يسجن كما كان يقتل غيرهما •• لا بل بلغ التنكيل والتشنيع بهم حدا لا ترضاه المروءة ، ولا يقره دين • من أمثلة ذلك ما حدث للمعتز ، حين طالبه الجند الاتراك بأرزاقهم ، فلم يجدوا عنده مالا •

قال الطبري فى أخبار سنة خمس وخمسين ومائتين • « فلم يرعه الا صياح القوم من أهل الكرخ والدور واذا صالح بن وصيف ، وبايكباك ومحمد بن بغا ، قد دخلوا فى السلاح ، فجلسوا على باب المنزل ، ثم بعثوا اليه ـ أي الخليفة ـ ان اخرج الينا ، فبعث اليهم أني أخذت الدواء أمس وقد اجفلني اثنتى عشرة مرة ولا اقدر على الكلام من الضعف ، فأن كان أمر لابد منه فليدخل الى بعضكم • فدخل اليه جماعة من أهل الكرخ والدور من خلفاء القادة ، فجروا برجله الى باب الحجرة قال : وأحسبهم كانوا قد تناولوه بالضرب بالدبابيس فخرج وقميصه محرق فى مواضع ، وآثار الدم على منكبه ، فأقاموه فى الشمس •• أنظر اليه يرفع قدمه ساعة بعد ساعة من حرارة الموضع الذى قد أقيم فيه •• ورأيت بعضهم يلطمه وهو يتقي بيده •• فذكر أنه لما خلع دفع الى من يعذبه ومنع الطعام والشراب ثلاثة ايام ، فطلب حسوة ماء فمنعوه ، ثم جصصوا سردابا بالجص السخين ، ثم أدخلوه فيه ، وأطبقوا عليه بابه ، فأصبح ميتا » •

ومن أمثلة ما كان يصيب الوزراء ما حدث لمحمد بن عبدالملك الزيات فى ايام المتوكل ، فكان يدخل فى تنور قد ألغم بالمسامير فلا يستطيع الحركة داخله ، ويظل دون نوم ، حتى مات • كل هذا كان

نتيجة القطيعة ما بين العرب وبني العباس والاعتماد على عناصر واجناس غريبة ، متوهمين بذلك أنهم بأعمالهم هذه انما يثبتون أركان دولتهم ورحم الله القائل .

بلادي وان جارت علي عزيزة
قومي وان شحوا علي كرام

هذا ما وصلت اليه الحالة السياسية فى القرن الثالث الهجري ذلك القرن الذى قدر لشاعرنا ان يكون من المنتسبين اليه . فكان أمر الدولة وسياستها قائما على سوء الظن والخديعة ، والايقاع بالاخرين ، ولو كانوا ابرياء كل ذلك كان ضمن مخطط رهيب غايته ضعضعة أركان الدولة العربية ، والانقضاض عليها لتقوم على انقاضها دول فارسية أو تركية .

ومما يؤسف له انهم استطاعوا ان يحققوا الشيء الكثير من مخططاتهم تلك ، كل هذا يحصل والقائمون على الامور كانوا فى غيهم سادرين .

وثمة خطر آخر ، كان مصدره القصور ، أو سيدات القصور اللواتي كن موكلات بالدسائس ، والاتصال بجهات مريبة لتحقيق الغايات التي كانت تدور فى رؤوسهن كما حصل « للخيزران » أم الخليفة المأمون ، فقد كانت على اتصال بالبرامكة وبالفرس كي ينال أبنها المأمون الخلافة قبل أخيه الامين بن الرشيد من زوجته زبيدة العربية .

وسرعان ما وقعت الكارثة ، وحصل التصادم بين الاخوين المأمون ومعه أخواله الفرس ، والامين وقومه العرب .

وكان سبب هذه الكوارث زواج الخلفاء بالاعجميات فالمعتصم

قدم الاتراك لان أمه كانت تركية، والمأمون استعان بالفرس لانهم أخواله .

لذا فقد استطاع هؤلاء وبعد فترة وجيزة ـ ان يؤسسوا الدولة البويهية ، والدولة السلجوقية ، وكلتاهما غير عربية .

في ظل هذا الجو المشحون بالمخاوف أنتشرت الرذائل . فمن الطبيعي ان يكثر الدجالون والمشعوذون ، والمنافقون الذين لا هم لهم الا الجري وراء الكسب والسلطة . واشباع النفس بالمغريات، والجسم بما لذ وطاب من نعم الحياة ، فقفز أمثال هؤلاء الى السلطة أو الجاه والثروة ، بعد ان اتخذوا المداهنة والمحاباة والخنوع سلما للوصول الى ما كانوا يبتغون . وقد تعرض شاعرنا لوصف أمثال هؤلاء ، الذين باتوا منعمين مرفهين ، وهم لا يستحقون الحياة نفسها قال يصف بعض هؤلاء :

أتراني دون الاولى بلغوا الآ
مال من شرطة ، ومن كتاب
وتجار مثل البهائم فازوا
بالمنى في النفوس والاحباب
خير ما فيهم ، ولا خير فيهم
انهم غير آثمي المغتاب
ويظلون في المناعم واللذا
ت بين الكواعب الاتراب
لهم المسمعات ما يطرب السوا
مع والطائفات بالاكواب

عندهـم كل ما أشتهوه من الآ
لات والاشربات والاشواب (١)

والغوالي وعنبر الهنـد والمـ
سك على الهام واللحى كالخضاب

لـم أكن دون مالكـي هذه الا
ملاك ، لو أنصف الزمان المحابي

ولكثرة الغنى الذى انحصر فى طبقات قليلة ، بينما حرمت منـه أكثر الفئات فقد كان عصر الثراء والبذخ والترف بالنسبة لطبقات معينة من الناس ، وكان عصر فقر وعوز وحرمان بالنسبة لفئـات واسعة من الناس •

لاشك أذن ان تفشو الخلاعة ، وتنتشر أسباب الترف الاخرى ، وان يشيع المجون •

ليس معنى هذا ان هذه الظواهر لم تكن من قبل ، انها موجودة فى كل زمن ومكان ، لكنها قد فشت فى القرن الثالث الهجري ، فكان لكل فن من الفنون أصوله وأدواته وأساليبـه ، حتى راح بعض الناس يبالغون فى التأنق ، فكان بعضهم يأبى ان يتنـاول لقمتين فى ملعقـة واحدة ، كما قيل عن الوزير المهلبي انه كان من ظرفه فى مأكله ونظافته، انه اذا أراد أكل شيء بملعقة كالارز أو اللبن ، أوقف في جانبه الايمن غلاما ومعه ثلاثون ملعقة من الزجاج المجرود ، فيأخذ كل ملعقة يأكل بها من ذلك اللون لقمة ، ثم يدفعها الى غلام آخر يقوم فى الجانب الاخر •

---

(١) ــ أشواب جمع شوب ، وهو الشراب يخلط بغيره •

ثم يأخذ اخرى يفعل بها فعل الاولى ، حتى ينال الكفاية ، فلا يعيد الملعقة الى فمه مرة ثانية .

ولم يكن هذا مقصورا على علية القوم ، بل كان يصطنعه أوساط الناس .

وقد كثرت بيوت القيان ومجالس الشراب والحانات وأدمنت المعاقرة على الخمرة ، وشاع اقتناء الجواري والغلمان ، وقد زاولوا اللذات مألوفها وغير مألوفها طيبها وخبيثها .

فقل الحياء فى طبقات معينة ، وشاع السباب البذىء حتى راحت الاسماع تألفه ولا تأباه .

هذه نظرة سريعة على الحالة السياسية والاجتماعية فى القرن الثالث الهجري ، كان لزاما علينا ان نتعرف عليها ، لنعرف من خلالها بعض جوانب شاعرية أبن الرومي . لان الانسان أبن بيئته وخاصة اذا كان فنانا شاعرا أو رساما أو غيرهما ، فانه يتأثر بالبيئة التي يعيش فيها ، يتأثر بجمالها ومظاهر العيش فيها ، من غنى وفقر ، وظلم وعدل ، وتدين وكفر .

ابن الرومي ... حياته من خلال أشعاره

لقد قلت اخبار هذا الرجل ، فلم يصلنا منها الا نتف لاتغني ولا تسمن من جوع . لذا فما علينا الا ان نستعين بشعره لنتعرف على مقومات شخصيته ، وسلوكه ، وعلاقاته العائلية والاجتماعية . فالرجل لم يترك شيئا ألا ذكره في شعره ، حتى الجانب السلبي من اخلاقياته وسلوكه لم يتهرب منها ، بل سجلها بكل أمانة وصدق في شعره .

فهو يعترف بجبنه وحرصه ، وحبه للمال حبا جما يقول :

وأصبحت في الأثراء أزهد زاهد
وان كنت في الأثراء أرغب راغب

حريصا جبانا أشتهي ، ثم أنتهي
بلحظي جناب الرزق لحظ المراقب

أخاف على نفسي وأرجو مفازها
وأستار غيب الله دون العواقب

ويعترف اعترافا صريحا بانه في كثير من الاحايين يكون لئيم الطبع يقول :

أقرُّ على نفسي بعيبي لانني
أرى الصدق يمحو بينات المعايب

لؤمت ـ لعمر الله ـ فيما أتيته

وان كنت من قوم كرام المناصب

وهو بنفس الوقت يسجل على نفسه ، وبشعره ، انه كان يضطر الى الحلف الكاذب ، ويعلل صنيعه هـذا بانه يدفع عن نفسـه الاذى واللوم ، ويرى أن لا أثم عليه ، وهو يجني من المصائب والمكاره بحلفه ذلك .

واني لـذو حلف كاذب

اذا ما أضطررت ، وفى الامر ضيق

وهـل من جنـاح على مرهق

يدافـع باللـه ما لا يطيـق

وديوانه مليىء بمثل هذه الاعترافـات ، التي قلما نجدهـا في دواوين الشعراء الاخرين .

لهـذا سوف نضطر ان نستعين بشعر الرجل ، لنصـل الى رسم صورة تقريبية لهذا الشاعر .

فقد حفل ديوانه بأشعار يتكلم فيها عن نفسه ، راسما كل ما كان يعلق بشخصه من صفات واخلاق . فكأنه كان يرى حرجا ان يخفى على الناس اخلاقه وسلوكه .

لقد كان ينظر بعين الغيب ، فقد رأى ان اخباره الكاملة سوف لا تدون ، فراح يدونها هو بشعره ، ذاكرا كل خليقة من خلائقه ، وراسما لنفسه صورة متكاملة ، بحيث اذا نظر اليه القارىء ظهر له أبن الرومي جليا واضحا .

اصله ونشأته

هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج الرومي ، ولد فى بغداد سنة احدى وعشرين ومائتين ، فى دار قريبة من قصر عيسى بن جعفر المنصور .

كان الشاعر مولى لعبد الله بن عيسى بن جعفر المنصور ، أما أصله فرومي ، لم يختلف فى ذلـك أثنان ، وقد صرح الشاعر مرارا بنسبه ، وكان يفتخر به ، قال :

ونحن بنو اليونان قوم لنا حجى
ومجد وعيدان صلاب المعاجم

وقولـه :

كيف أغفي على الدنية والفر
س خؤولي ، والروم أعمامي

أذن ، هو رومي ، لاجدال فى ذلك ، من الاب ، أما أمه فقد تكون فارسية ، أو منسوبة الى الفرس .

وقد قال بعضهم لقب بأبن الرومي ، لجماله فى صباه ، وهذا رأى لم يأخذ به أحد .

ويبدو ان أباه كان يتوسم فيـه النجابة ،وكان يرجو له مستقبلا مشرقا ، ومكانة مرموقة ، لان الموالي كانوا يطمحون الى ذلك تعويضا منهم عن النسب ، الذى كان له فعله السحري فى تلك الازمان .

ويبدو انه فقد أباه ، وهو صغير ، أما أمه فقد فارقته وهو مكتهل

كما فى قوله :

أقـول : وقـد قـالوا أتبكى لفاقـد
رضاعا ، وأين الكهـل من راضع الحلم
هـي الأم ، ياللنـاس جرعـت فقدهـا
ومن يبـك أما لم تـذم ، قط لم يـذم

وكان له أخ يكبره ، يكنى أبا جعفر ، وكان يحبه حبا جما وكـان يتردد أسمه فى شعره كثيرا ، وقد رثاه حين أفتقده :

تسـلينى الايـام لا ان لوعتـي
ولا حزن كالشىء ، ينسى فيعزب
ولكن كفاني مسليا ومعزيـا
بأن المـدى بين وبينك يقـرب

أما فقده لأولاده الثلاثة ، فهو مشهور لكثرة ما بكاهم فى شعاره . أما أسماؤهم فهي : محمد ، وهبة الله ، وأما الثالث فلم يرد اسمه فى ديوانه .

وكانت أول فجيعة أصابته ، يوم أختطفت المنون ولده الاوسط محمدا ، فرثاه فى داليته ، التي عمت شهرتها الافاق ومنها :

توخى حمـام الموت أوسـط صبيتي
فلله ، كيف أختار واسطة العقـد
لقـد قل بين المهـد واللحـد لبثه
فلم ينس عهد المهد أذ ضم في اللحد

محمد ما شيء توهم سلوة
لقلبي ، ألا زاد قلبي من الوجد
أرى أخويك الباقيين كليهما
يكونان للأحزان أورى من الزند
اذا لعبا في ملعب لك لذعا
فؤادي بمثل النار عن غير ما عمد

أما أبنه الثاني هبة الله ، فقد يبدو أنه فارق الحياة وهو شباب، تلمس ذلك من قوله :

يا حسرتا فارقتنى قننا   غضاً ، ولم يثمر لي الفين

أما زوجته فقد فارقته هي الاخرى ، لكنه تزوج بعدها أمرأة أخرى ، بدليل قوله ، بعد ان بلغ الخمسين :

أيركب عمرو ، حوله من يحفه   ويعوزني قوت أعول به عرسي

ثقافته :

مما لا شك فيه ان شاعرنا قد تأثر بروح العصر الذى كان يموج بشتى الثقافات والمعارف .

فقد ذكر لنا أنه كان دائم الاتصال بمحمد بن حبيب الراوية وكان يسأله عن معاني بعض المفردات اللغوية ، فقد سأله مرة عن معنى كلمة (شنف) في البيت التالي :

وأصدق المدح ، مدح ذي حسدٍ
ملآن من بغضة ومن شنف

يقول ابن الرومي عندما سألته عن معنى شنف ، أجابني الشنف ما ظهر من البغض في العين •

وهناك آخرون من اللغويين والمحدثين ، كان صاحبنا على اتصال وثيق بهم • كأبي العباس ثعلب ، اللغوي وقتيبة بن سعيد الثقفي ، المحدث المشهور •

أما تأثره بعلوم عصره ، من فلسفة وقياس ، وكلام فقد ورد في شعره الكثير منها قال :

غاب تحت الحس حتى ... ما يرى الا قياسا

وقوله في الجدل :

لذوي الجدال اذا غدوا لجدالهم
حُجيج تضل عن الهوى وتجور

وهنَّ كانية الزجاج تصادفت
فهوت ، وكل كاسر مكسور

ويبدو أنه كان يقرأ كثيرا ، ويحاول جاهدا ان يثقف نفسه ، وان يتزود بمعارف عصره ، التي كانت شائعة آنذاك ، قال :

ان أكن غير محسن كل ما تطلب ... ب ، أني لمحسن أجزاء
فمتى ما أردت صاحب فحص ... كنت ممن يشارك الحكماء
فمتى ما أردت صاحب شعر ... كنت ممن يساجل الشعراء
ومتى ماخطبت منى خطيبا ... جل خطبى ، ففاق بي الخطباء
ومتى حاول الرسائل رسلي ... بلغتنى بلا غتى البلغاء

فهو حكيم ومتكلم وشاعر وخطيب وبليغ ، وهناك نصوص كثيرة، يشير فيها الى معارفه في الرياضيات ، وباقي العلوم .

وليس من المستبعد ، أن يلم الشاعر بثقافة عصره التي شملت اللغة والشعر والفلسفة ، وباقي العلوم الاخرى التي شاعت في عصره بعد أن نقلت الى العربية .

أما ثقافته اللغوية ، فكانت عميقة ، ذات جذور ضاربة ، فأنت عندما تقرأ أشعاره ، يهولك ذلك الاقتدار الشعري ، والفيض اللغوي . يقول المرحوم الاستاذ العقاد (أما حظه من علوم العربية والدين ، فمن الفضول ان نتعرض لاحصاء الشواهد عليه في كلامه ، لانه أبين من أن يحتاج الى تبيين . وندر في قصائده المطوله او الموجزة ، قصيدة تقرأها ولا تخرج منها وأنت موقن بأستبحار ناظمها في اللغة واحاطته الواسعة بغريب مفرداتها ، وأوزان أشتقاقها وتعريفها ، ومواقع أمثالها وأسماء مشاهيرها) .

ولا غرو في ذلك ، بعد أن تتلمذ على اساتذة اللغة والشواهد والاخبار ، أمثال ثعلب ، وقتيبة ، وأبن حبيب .

ومما ساعده على ذلك قريحة حافظة ، وذكاء وقاد ، فقد كان يحفظ الابيات الخمسة او الستة ، لاول مرة يسمعها .

اخلاقه ومزاجه :

نريد ان نقف وقفة طويلة على أشعاره ، لنتعرف من خلالها على اخلاق ومزاج شاعرنا . لان اقوال النقاد ، ذهبت فى ذلك كل مذهب ، فقالوا عنه ما قالوا

قالوا عنه أنه كان متطيرا خائفا مما حوله ، كما ذكروا عنه ، أنه كان يعتقد بالسحر والشعوذة والفأل وغير ذلك ، فهل ما قالوه كان صحيحاً ؟

كانت مثل هذه الاعتقادات سائدة في مجتمع الشاعر فكان الناس يؤمنون بالسعد والنحس ، والفال والزجر واصبح مذهب الشك هو السائد في ذلك المجتمع المضطرب القلق ، الذي لم يعد فيه الصديق يأمن صديقه .

لهذا نرى شاعرنا كثير الشكوك بالناس ، أشرارهم واخيارهم صلحائهم وطلحائهم قال :

ذقت الطعوم فما ألتذذت .كراحةٍ
من صحبة الاشرار والاخيار

أأحبُ قوما لم يحبوا ربهم
ألا لفردوسي لديه ونار

وقال مثيراً الشكوك في كل الناس :

وأعلم بأن الناس من طينة يصدق في الثلب لها الثالب
لولا علاج الناس أخلاقهم أذن لفاح الحمأ اللازب

وكان أبن الرومي متشائما ، لا يلبث أن يبدي تشاؤمه ومخاوفه ، من أشياء لا تخيف حتى الاطفال ، وكان يخـاف الموت والمرض ، فهو يرى ان المقابر يجب ان تكون أضعاف المدن .. قال :

اذا أحتط قوم خطة لمدينـة   تقاضتهم اضعافها للمقـابر
ومن ذاك ماينهاهم ان يشيدوا   وان يقتنوا الا كزاد المسافر

وحسب ما يظهر من أشعاره ان ابن الرومي ، لم يكن في شبابه معروفا بمثل هذه الخلال التشاؤمية بل هي لم تتضخم عنده ألا بعد أن تجاوز عمره الخمسين ، وبعد ان توالت عليه المصـائب الواحـدة تلو الاخرى ، فراح ينظر الى دنياه بالمنظار المشؤوم متهيبا من الحياة خائفا من نوازل الدهر التي ما أنفكت تنصب عليه تباعا ودون أنقطاع .

جاء في زهر الأداب (ان علياً بن العبـاس الرومي كـان مفرط الطيرة ، شديد الغلو فيها ، قال عبدالله المسيب ، وكان يحتـج بهـا ويقول : ان النبي (ص) كان يحب الفـأل ، ويكره الطيرة ، أفتراه كان يتفاءل بالشيء ، ولا يتطير منه ؟ .) ويقول ان النبي (ص) مر برجل وهو يركل ناقته ، ويقول لها يا ملعونة ، فقال (ص) لا يصحبنا ملعون ،
وان علياً (رض الله عنه) كان لا يغزو غزاة والقمر فى العقرب .
ويزعم ان الطيرة موجودة في الطباع قائمة فيها ، وان بعض الناس هي فى طباعهم أظهر منها فى بعض ، وان اكثر الناس اذا لقي ما يكرهه قال: على وجه من أصبحت اليوم ؟

روى أبن المسيب كذلك، قال عنه : دخل علينا يوم مهرجانا وقد أهدي الى عدة من جواري القيان ، وكانت فيهن صبية حولاء ، وعجوز في أحدى عينيها نكتة ، فتطير أبن الرومي من ذلك ، فلما كـان بعـد

شهر ، سقطت لي أبنة من بعض السطوح، وجفاه القاسم بن عبيدالله، فجعل السبب ، تلكما المغنيتين • وكتب ألي :

أيها المحتفي بحول وعور
أين كانت منك الوجوه الحسان
فتحك المهرجان بالحول والعو
ر أرانا ما أعقب المهرجان
كان من ذاك فقدك أبنتك الحر
ة مصبوغة بها الأكفان

والآن علينا أن نقول كلمة اخيرة في أسباب تشاؤمه وتطيره ، ومخاوفه التي كثيرا ما كانت تبرز من خلال أشعاره • هناك اسباب كثيرة منها ما هو وراثي انتقل اليه بالوراثة فقد أثبت علماء النفس ان كثيرا من تلك الوساوس والاوهام أنما هي من اصل تكوين الانسان •

يضاف اليها ما أصابه من نوازل الدهر ، فالموت — كما اسلفنا — حرمه من ابيه وهو طفل ، ومن أمه وهو شاب ، ومن أولاده الثلاثة ، ومن زوجته وأخيه ، فلم يترك له من يستعين به على نوائب الدهر •

ومنها فقره ، فقد رأى بعض الشعراء قد أعتلى قمم المجد وكان يرى نفسه أجدر من أولئكم الشعراء ، كما صرّح مرارا بذلك ، عندما كان يتطرق الى الشاعر البحتري ، الذي أصبح شاعر الخلافة بعد ابي تمام الشاعر •

وكان ••• شاعرنا معتل الصحة ، كثيرا ما تنتابه الاسقام والعلل، الامر الذي دفعه الى الطيرة والوجل • كل ما تقدم جعل شاعرنا

ينكمش ، ويعتزل الناس ، حتى راح يتخيل أشياء لا أثر لها • فركبته الوساوس وأنتابه الفزع • وأحاطت به الهواجس ، وقد ظهر ذلك في شعره جلياً •

شاعريته :

« لقد عرف هذا القرن ـ القرن الثالث ـ شعراء كبارا ، تركوا دويا في عالم الشعر ، كأبي تمام والبحتري ، والحسين بن الضحاك ودعبل الخزاعي ، وعلي بن الجهم ، وأبن المعتز ، ناهيك عن عشرات غيرهم ممن احترفوا الشعر ، أو اتخذوا الشعر هواية وقضاء للوقت » •

وشاعرنا أبن الرومي ، كان من الشعراء الكبار ، بل أن بعضهم قدمه على البحتري وغيره من الشعراء •

قال أبن خلكان واصفا أبن الرومي « هو صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب ، يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ، ويبرزها في أحسن صورة ، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه الى آخره ، ولا يبقى فيه بقية » •

بالاضافة الى ما تقدم ، كان شاعرنا يمتلك الحاسة الفنية التي هي الاساس الذى ترتكز عليه دولة الشعر والموجه الاول لعبقرية الشعراء •

فى حياتنا نقرأ الكثير من الشعر ، نقرأ تلك الاشعار ، وكأننا نقرأ خبرا فى صحيفة ، أو فكرة عارضة ، سرعان ما تتلاشى صورها ، كما تتلاشى الامواج بعد ان تصل الى الشواطىء • ولكن بعض تلك الاشعار تخلق فى نفسك شعورا غريبا ، بعد ان تتحفك بصور كلامية ، لم تكن تحس بها من قبل أو لم تكن تخطر على بالك البتة •

وهذا راجع الى تلك القابلية التي تخضع الى قوة الحاسة الفنية عند الشاعر . فكثير من الافكار والصور الكلامية قد عرضت عليك ، وانت تقرأ وتطالع . ولكن بعض تلك الصور الشعرية تستوقفك لطلاوتها وسحرها وجدتها فنحن عندما نقرأ ابيات ابن حزم الاندلسي .

أمن عالم الافلاك أنت أم أنسي
أجبني فقد أزرى بتمييزي العي
أرى هيئة أنسية غير أنه
اذا أعمل التفكير ، فالجرم علوي
تبارك من سوى بدائع خلقه
على أنك النور الانيق الطبيعي

أننا لا نملك ـ لا ان نقف مشدوهين أمام هذه الابيات . فلقد تركنا الشاعر فى حيرة أمام تساؤلاته تلك . هل كان يخاطب بشرا أم ملاكا ؟ هل المخاطب من لحم ودم أم هو نور متألق ؟

لقد وردت مثل هذه المعاني في الشعر العربي ، ولكن صياغتها بهذه الفنية الشعرية ، والاناقة الكلامية ، تتركنا واقفين امام هذا النص الشعري حيارى . لقد استطاع هذا الشاعر ان يهمس في وجداننا تلك الهمسات الدقيقة وان يداعب عواطفنا ليستثير فينا قوة الادراك لمعاني الجمال ، بأسلوب رائق سلس ، تكاد موسيقاه تأخذ بمجامع القلوب .. هذه هي الحاسة الفنية التي كلما تبلورت فى وجدان الشاعر ، استطاع ان يجذبنا الى شعره جذبا ، ويؤثر في نفوسنا تأثيرا مباشرا .

وابن الرومي ــ دون منازع ــ كان يمتلك مثل هذه الحاسة المرهفة فلو استعرضنا قصيدته فى المغنية « وحيد » رأيناه يتلاعب بعواطفنا بما قدمه في تلك القصيده من صور شعرية ، صاغها في قوالب جديدة من التعابير ، لم تألف الأسماع مثلها من قبل ، قال :

تتغنى .. كأنها لا تغني
من سكون الاوصال وهي تجيد
لا تراها هناك تجحظ عين
لك منها ، ولا يدر وريد
مدّ في شأو صوتها نفس كاف
كأنفاس عاشقيها مديد
وأرق الدلال والغوج منه
وبراه الشجا ، فكاد يبيد

الى اخر القصيدة ، التي اعتبرت من القصائد التي اجادت في وصف المغني الجيد والمقتدر ، والذي يجب ان يتحاشى بعض الحركات ، التي من شأنها ان تعيب المغني وهو منطلق في الغناء ونسمعه الان ، وهو يستجمع كل حركات الخباز وسكناته وهو يقوم بترقيق العجينة كي يلقى بها بالتنور .

ما أنس لا أنس خبازا مررت به
يدحو الرقاقة مثل اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة
وبين رؤيتها قوراء كالقمر

الا بمقـدار مـا تنـداح دائرة

في صفحة الماء يرمى فيـه بالحجر

فلقد ابدع الشـاعر اي ابداع ، وهـو يلامسـ اجزاء الصورة ليقارن بالتالي ما بين صورتين ، صورة العجينـة وهي أشبه بالكرة ، التي سرعان ما تتحول الى شـكل القمر وهي في يـد الخباز ، بتلك الدوائر التي تتشكل في الماء بعد ان يرمى بالحجر .

قد يكون للوراثة أثرهـا البارز في قوة الوصف عنـد الشاعر واستجماع اجزاء الصورة الشعرية ، واختيار ماينـاسـبها من الالوان والخطوط ، وبالتالي اخراجها بهذا الشـكل الانيق . ولكن يجب ان لا ننسى ان للحاسة الفنية والثقافة اثرهما الواضح في ذلك .

أما براعته في الهجاء فنابع من خيبته في الحياة ، فلم يستطيع شاعرنا ان يرتقي سلم المجد كما ارتقاه غيره من الشـعراء فوصلوا الى الغنى والمجد والشهرة ، كأبي تمام الذي كان شاعر الخلافة ، ثم تلاه البحتري في ذلك ، وقد كان الشاعر معاصرا لكلا الشاعرين .

فقد كان ينفس على البحتري مكانتـه ، وكثيرا مـا كان يتعرض للبحتري ويصفه بأنه لايمتلك من الشاعرية الا اسمها . قال .

الحظ اعمى ولولا ذاك لـم نره

للبحتري ، بلا عقـل ولا أدب

قبحا لاشياء يأتي البحتري بها

من شعره الغث ، بعد الكد والتعب

كأنها حين يصغى السامعون لها

ممن يميز بين النبـع والغـرب

فالحسد والغيرة من الاخرين ، بالاضافة الى ما كان يتصف به من جبن وخوف وتدهور في الصحة ، هي التي جعلته ينقم على الحياة وعلى الاخرين، فقويت فيه حاسة الهجاء والقذع فراح يصبها نارا حامية، على من كان يهجوهم .

ينسب العقاد ـ رحمه الله ـ قوة الهجاء عند أبن الرومي الى الشهوانية ، والتهالك على اللذات ، قال في كتابه « أبن الرومي » حياته من شعره .

« ما هو عيب أبن الرومي ، أو ما هي عيوبه التي أولعته بالهجاء والافحاش ، وصيرته عنوانا لزمانه فى السفاهة والبذاء ؟ يبدو أن عيبه الاول هو الشهوانية والتهالك على اللذات » .

وأني لا أرى اية علاقة بين الاثنين فقد عرفنا شعراء بلغت الشهوانية عندهم أضعاف ما كانت عند أبن الرومي ، ولكنهم مع هذا لم يصلوا الى ما وصل اليه شاعرنا من هيمنة وقوة على هذا النوع من الشعر .

ولكن الحسد النابع من الفشل ، والفقر نتيجة التخوف والتردد ونوازل الدهر ومصائبه ، التي كانت لا تنفك تلاحقه ، هذه هي التي ولدت النقمة فى نفسه على الاخرين ، فراح يصب عليهم نار هجوه ، ليخادع نفسه ويقنعها بأنه لا يقل عن محسوديه شأنا ، اذا لم يكن يفوقهم شاعرية واقتدارا . وكثيرا ما كان يرجع شاعرنا الى نفسه ويستكره منها هذا الهجاء المقذع ، ويحاول التوبة والابتعاد عنه ، ولكن سرعان ما يستثار من الاخرين ، فيلجأ الى الهجو مدافعا لا مهاجما .

قال وهو ينوي التوبة :

آليت ألا أهجو طوا
ل الدهر ألا من هجاني

لا بل سأطرح الهجا
ء وأن رماني من رماني
أمن الخلائق كلهم
فليأخذوا مني أماني
حلمي أعز عليَّ من
غضبي اذا غضبي عراني
أولي بجهلي بعدما
مكنت حلمي من عناني

وهما قيل فان صاحبنا يعتبر من أكبر الهجائين الذين عرفهم تاريخ الهجاء ٠

والان سأعرض عليك نماذج من هجائه ، قال يهجو مغنية :

شاهدت في بعض ما شاهدت مسمعة
كأنما يومها يومان في يوم
تظل تلقي على من ضم مجلسها
قولا ثقيلا على الاسماع ، كاللوم
لها غناء يثيب الله سامعه
ضعفي ثواب صلاة الليل والصوم
ظللت أشرب بالارطال لا طربا
عليه بل طلبا للسكر والنوم

وقال يهجو أبن المدبر ، بعد ان مدحه ، فقال له : خذ شعرك وأمدح به غيري ٠

رددتَ عليَّ مدحي بعد مطلٍ
وقد دنست ملبسه الجديدا

وقلتَ أمدح به من شئت غيري
ومن ذا يقبل المدح الرديدا

ولا سيما ، وقد أعبقت فيه
مخازيك اللواتي لن تبيدا

وما للحيَّ في أكفان ميت
لبوس ، بعدما ملئت صديدا

الان علينا ان نطرح هذا السؤال ، لنحاول الاجابة عليه ، لماذا لم يصل أبن الرومي الى ما وصل اليه أبو تمام والبحتري ؟ .

فقد أستطاع كل منهما ان يتسنم ذروة الشعر ، فيصبح شاعرا للخلافة ؟ .

سؤال يطرح نفسه ، اذا عرفنا ان أبن الرومي شاعر له شأنه فى دولة الشعر .

هناك أسباب عاقت الشاعر ان يصل الى ما وصل اليه الاخرون منها : ان شاعرنا كان يؤثر العافية ، ولا يريد ان يزج بنفسه فى متاهات ، هو فى غنى عنها . وخصوصا فى عصره القلق فقد كان الخليفة أو الوزير عرضة للقتل والعزل من قبل الجند الاتراك ، كما حصل للمتوكل والمعتز وغيرهما من الخلفاء . وفى كثير من الاحيان ، كان الاذى يلحق بأتباعهم من الوزراء والكتاب والشعراء ، لهذا كان يخاف على نفسه الاذى ، فبقى راضيا بما قسم الله له من رزق قانعا به ولو كانت نفسه تهفو الى الجاه والثروة . وقد صرح بذلك عندما قال :

وأصبحت فى الاثـراء أزهد زاهـد
وأن كنـت فى الاثـراء أرغب راغب
أخاف على نفسي ، وأرجو مفازهـــا
وأسـتار غيب اللـه ، دون العواقب

ورحم الله المتنبي أذ يقول :

على قدر أهل العزم تأتي العزائـم
وتأتـي على قدر الكـرام المكارم

ثمة عائق آخر حال دون أبن الرومي وصعوده فى سلّم المجد .. هو أنه كما أسلفنا كان خائفا وجلا متطيرا ، وقد يتوهم أشياء لا وجود لها ، ومن كان هذا شأنه يبقى متقاعسا متأخرا ، لان أوهامه تحول ما بينه وبين تحقيق احلام ، قد تراوده في بعض الاحيان ، ولكن تخوفه ووسوسته قد يوهمانه ، بأنه أذا ما تحرك او خطا خطوة الى الامـام ، كان حتفه يترصده وراء كل خطوة يخطوهـا . فالخائف المتطير الوجل ، ليس بأستطاعته ان يحقق شيئا كبيرا .

واخيرا ، فأن هذا الشـاعر الذي حمـل في تكوينـه الوراثي « البايلوجي » صفات ومميزات شعوب اخرى ، فقد عرفنا أنه رومي ، اما أمه فقـد كانت تنتمي الى الجنس الفارسي ، ان لم تكن فارسية . أقول .. ان مثل هذا مهما تثقف بالعربية ، وصـار بها شـاعرا تبقى الرواسب الوراثية عالقة به وبشعره .

لهذا كان شعره يميل الى الأستقصاء والمعالجة والعمق ، ومثـل هذا الشعر بعيد عن الذوق العربي ، فهو لا يحمل في طيـاته بسـاطة البادية ولا كثبانها ولا نكهتها .

مهما اتصف شعر صاحبنا بالقوة والعمق ، يبقى بعيـدا عن روح البادية التي حملت العربي أجيالا ، فتركت فيه طابعها الذي لاغنى لـه عنه ، لقد خرج العرب من جزيرتهم ، وأستقروا في مواطن لا صلة لهـا البتة بالبادية ، ولكنهم كـانوا دائمي الحنيين الى باديتهم ، التي تركت طابعها على مشاعرهم ووجداناتهم ألم تر ان العرب الفاتحين ، كانوا اذا دخلوا بلـدا أختـاروا لسكناهم أرضا مطلة على الصـحراء لتذكرهم بصحرائهم التي أنطلقوا منها فاتحين ، كما فعلوا عندما أختاروا الكوفة ـ المطلة على الصحراء ـ مقاما ومستراحا للجنـد ، بعد فتحهم للعراق وقبل سنين ثـارت ضـجة في فرنسـا حول ادب الادبـاء العـرب الذين ولدوا على الارض الفرنسية ، وتثقفوا بلغتهـا .

ثارت ضجة حول هذا الادب ، أهو عربي أم فرنسي فأنحاز أكثر النقـاد الى الرأي الاول .. وقالوا أنه أدب عربي ، لانه سيبقى يحمل في طياته الشعور والوجـدان العربيين ، وسيظل أدب هؤلاء العرب من جزائرين ومغاربة وتونسيين مشحونا بشحنات عربية ، مهما طـال بهم المقام في الارض الفرنسية وتثقفوا بلسانهـا .

وهذا ينطبق على شاعرنا أبن الرومي ، فأنه ولد على أرض عربية وتثقف باللسـان العربي ، ولكن لم يستطع ان يتخلى عن عوامـل الوراثة وتأثيرها على نفسيته وتفكيره وشعره .

وقد أثبتت الدراسة النفسـانية الحديثة ، ان لكـل جنس مـن الاجناس البشرية مزاجه وتفكيره ومشاعره .

فكلنا يتذوق الادب العالمي شعرا كان أم نثرا ، خاصة اذا كـان هذا الادب يحمل فى حناياه قضايا انسانية معاصرة .

ولكن لا أستطيع ان أسبر أغوار الشاعر الانكليزي شكسبير كما أستطيع ان افهم دقائق المعاني والصور ، التي وردت في شـعر المتنبي لان المتنبي عندمـا يخاطبني ، يخاطبني بلغتي التي حملت كل دقـائق مشاعري وتفكيري ، عبر أجيـال سحيقة .

لهذا لم يستمع اليه الخلفـاء ولا الوزراء العرب ، كما استمعوا الى البحتري وأبي تمـام ، لان كلا منهمـا كان يخـاطب ممدوحـه بوجدان وشعور عربيين . قبل ان يخاطبه باللغة العربية .

مختارات من اشعاره

وحيد المغنية

١ يا خليليَّ يتمتني وحيد
فـفؤادي بها معنىً عميد

٢ ـ غادة زانها من الغصن قدٌّ
ومن الظبي مقلتان وجيد

٣ ـ وزهاها من فرعها ومن الخد
ين ذاك السواد والتوريد

٤ ـ أوقد الحسن ناره في وصيد
فوق خد ما شأنه تخديد

٥ ـ فهي برد بخدها وسلام
وهي للعاشقين جهد جهيد

٦ ـ لم تضر وجهها وهو ماء
وتذيب القلوب وهي حديد

شرح الابيات :

١ ـ يا صاحبيّ ، لقد همت شوقا بحب « وحيد » ولقد أصاب حبها فؤادي ، فهو تعب بها ومجهود بحبهـا .

٢ ـ حسناء يحاكي قوامها الغصن رشاقة ، أما عيناها فهي تشبه عيون الظبـاء .

٣ ـ والذي زاد في جمالها أسوداد شعرها ، وتورد خديهـا .

٤ ـ لقد أضطرمت جمرة خديها جمالا وفتنة ، فوق خدين أسيلين لم يظهر عليهما علامات الكبر من خطوط وتجاعيد .

٥ ـ مع ما يعتلج في خديها من نار الحسن ، فهما ـ أي خداها ـ لا ينبعث منهما ألا النشوة والسلام ، أما عشاقها فهم يعيشون في عناء وتعب .

٦ ـ ان لهب الحسن في خديها لا يؤذيهما ، ولكنها تقدر ان تذيب قلوب محبيها ، بجمالها ، وتوقد خديهـا .

٧ ـ وغرير يحبهـا قال : صـفها
قلـت : أمران ، هين وشـديد

٨ ـ يسـهل القـول انهـا أحسن الا
شـياء طراً ، ويعسـر التحديد

٩ ـ تتجلـى للناظريـن أليهـا
فشـقي بحسـنها وسـعيد

١٠- تتغنى ، كأنها لا تغني
من سكون الاوصال وهي تجيد

١١- لا ترها هناك تجحظ عين
لك منها ، ولا يدر وريد

١٢ مدّ في شأو صوتها نفس كاف
كأنفاس عاشقيها مديد

١٣- وأرق الدلال والفنج منه
وبراه الشجا ، فكاد يبيد

١٤- فتراه يموت طوراً ويحيا
مستلذ بسيطه والنشيد

شرح الابيات :

٧ - وهائم بحبها طلب مني وصف حسنها ، فقلت له : أن ما طلبته مني قد تراه سهلا ، ولكنه فى الواقع أمر شديد .

٨ - فمن السهولة ان تقول أنها أجمل النساء ، ولكن من الصعوبة بمكان ان تصور مباهج جمالها ، وتحدد مفاتنها .

٩ - عندما تبرز للناظرين ، فهناك من يشعر بالسعادة وهو ينظر الى مفاتنها ، وهناك الشقي بحبها وجمالها .

١٠- لا تظهر التكلف - وهي تغني - علما انها تجيد الغناء أجادة تامة .

١١ـ لا يظهر عليها الايماء ـ وهي تغني ـ فلا يظهر ذلك على عينيها ولا على وريد الرقبة ، فبعض المغنين يجهدون عندما يغنون •

١٢ـ لها نفس طويل غير متقطع ، يشبه آهات عشاقها وزفراتهم •

١٣ـ فصوتها رقيق يشبه رقتها وجمالها وهو ناعم لا يكاد يسمع لرقته وطلاوته •

١٤ـ فهي ذات صوت متموج ، تارة يشتد واخرى يهدأ ويرق وهو لذيذ ومنعش فى كلتي حالتيه •

١٥ـ في هوى مثلها يخف حليم
راجح حلمه ويغوي رشيد

١٦ـ ما تعاطي القلوب ألا أصابت
بهواها منهن حيث تريد

١٧ـ وتر العزف فى يديها مضاه
وتر الرجف فيه سهم شديد

١٨ـ وأذا أنبضته للشرب يوماً
أيقن القوم انها ستعيد

١٩ـ عيبها انها أذا غنت الاحرا
رَ طلوا ، وهم لديها عبيد

٢٠ـ وأستزادت قلوبهم من هواها
برقاها ، وما لديهم عتيد

٢١ــ وحسان عرضن لي قلت : مهــلا
عن وحيـــد ، فحبهـــا التوحيـــد

٢٢ــ حسنها في العيون حسن وحيد
فلهـــا في القلوب حب وحيـــد

شرح الابيات :

١٥ــ في هواها وحبهـــا ، يزول الحلم عن الحليم ، ويخف عقل الرزين .

١٦ــ أذا ما ناغت القلوب أصابتها بنبل هواها في أي مكان تريد .

١٧ــ ان الاوتار بين يديها ــ وهي تغني ، تشبه أوتار ألسهام فكلاهما مصيب قاتل ، فهي تقتل بحسن ضربها على الاوتار .

١٨ ــ فاذا ماحركت أوتار عودها أمام الشاربين،أيقن الكل انها ستصيد القلوب بحسن ذاك التوقيع .

١٩ ــ عيبها الوحيد انها اذا غنّت ، جعلت الاحرار عبيدا لها .

٢٠ــ وأستزادت القلوب تعلقا بها وبسحرها ، وطلاوة صوتها علمـــا أن حبّ أولئك الناس لها ثابت وقديم .

٢١ــ لقد لامني الغواني الحسان بهيامي بوحيد ، فكان جوابي انهـــا وحيدة الحسن ، لا تضاهيها في حسنها امرأة .

٢٢ــ فحسنها لا شبيه له ، فهو وحيد في العيون ، اذاً فليكن لها حب وحيد لا يشبهه حب .

الربيع شباب الطبيعة

١ ــ ضحك الربيع الى بكى الديم
وغدى يسوّي النبتَ بالقمم

٢ ــ ما بين أخضر لابس كمماً
خضراً ، وأزهر غير ذي كمم

٣ ــ متلاحق الاطراف متسق
فكأنه قد طمّ بالجلم

٤ ــ متبلج الصحوات مشرقها
فتأرج الاسحار والعتم

٥ ــ أشقائق النعمان بين ربى
نعمان ، أنت محاسن النعم

٦ ــ شعل تزيدك في النهار سنى
وتضيء في محلولك الظلم

٧ ــ فأعجب بها مشعلا على فحم
لم تشتعل في ذلك الفحم

طم بالجلم : عدل وسوى بالمقص .

٨ ــ وكأن لمع السواد الى
ما أحمر منها في ضحى الرهم

٩ ــ حدق العواشق وسطت مقلا
نهلت وعلت من دموع دم

شرح الابيات :

١ ــ مذ نزلت الامطار مدرارا ، بدأت الارض تلبس زينتها فكأنما الربيع راح ينثر العشب ويسويه فوق القمم ، وأعالي الارض •

٢ ــ وقد غطيت الارض بشتى الالوان ، فكأنها قد أرتدت أردية خضرا وبيضاء •

٣ ــ كان النبت معتدلا متسقا ، فكأن قوة خارقة راحت تسوي النبت والشجر بمقص سحري •

٤ ــ كانت الطبيعة مشرقة فى الاضاحي ، أما لياليها فكانت تفوح بالعطر الزكي •

٥ ــ ما أحيلى ورود شقائق النعمان ، وقد أنتشرت بين الربا ، وهي تغري الناظر بحسنها وجمالها •

٦ ــ الكل كان يضيء ، وخاصة تلك الورود المزهرة ، فهي

الرهم : المطر الخفيف الدائم •

تزيد النهار سنى " ، ما في الليالي الحالكة فقد كانت تبعث النور والضياء .

٧ ــ وهنا شبه الشاعر الورود والرياض بأنها كانت بمثابة الشعل ، وان ظلام الليل كان في سواده كالفحم والشاعر يتعجب ، كيف لا يشتعل ذلك الفحم وسط تلك الشعل .

٨ ــ وفي البيتين الاخيرين تشبيه آراه مصطنعا ومتكلفا فقد شبه سواد الليل ، وما أحمر من ورود شقائق النعمان ــ لان لون هذه الورود حمراء . في ضحى ماطر . شبه هذا بأحداق عشاق بكت مقلها حتى أحمرت وقد توسطت تلك الأحداق .

وكما ترى معي عزيزي القارىء ــ أن التشبيه متلكف لان وجه الشبه بعيد ما بين المشبه والمشبه به .

الشباب الراحل

١ ـ أبين ضلوعي جمرة تتوقـد
على ما مضى ؟ أم حسرة تتجدد

٢ ـ خليليّ ما بعـد الشباب رزيـة
يجم لهـا ماء الشؤون ويعتـد

٣ ـ فلا تلحيا أن فاض دمع لفقـده
فقـلّ له بحر من الدمع يثمـد

٤ ـ ولا تعجبا للجلد يبكي ، فربمـا
تفطـر عن عين من المـاء جلمد

٥ ـ كفى حزنـاً ان الشباب معجـل
قصير الليالي ، والمشيب مخلـد

٦ ـ أرى الدهر أجرى ليله ونهاره
بعـدل فلا هذا ولا ذاك سـرمد

٧ ـ وجار على ليـل الشباب فضاحه
نهار مشيب سرمد ليس ينفـد

٨ ـ لما تؤذن الدنيا به من صروفهـا
يكون بكاء الطفل ساعة يولـد

٩ ـ وألا فما يبكيه منها وانها
لأفسح مما كان فيه وأرغد

١٠ـ وما لي عزاء عن شبابي علمته
سوى أنني من بعده لا اخلد

١١ـ وان مشيبي واعد بلحاقه
وان قال قوم ، انه يتوعد

شرح الابيات :

١ ـ اني لنادم كل الندم ، ومتحسر على ما فات من ايام الشباب

٢ ـ يا صاحبي هل بعد ذهاب الشباب شيء يحزن عليه وتذرف عليه الدموع ؟

٣ ـ فلا تلوماني ان بكيت لذهابه ، فقليل ان يذرف الانسان بحر من الدموع على ذهابه .

٤ ـ فلا تتعجبا ان تراني باكيا وأنا الجلد الصبور ، فكثيرا ما تنبثق العيون الثرة من من الصخور .

٥ ـ والذي يبعث الحزن والاسى ، ان الشباب عمره قصير أما المشيب فيبقى ملازما حتى الممات .

٦ ـ ومن عجب ان الدهر كان منصفا عندما قسم النهار بين صبح مضيء ، وليل معتم .

٧ ـ ولكنه جار على سواد شعر الشباب ،فبعد ان يشيب المرء يبقى بياض شعره ملازما له طوال حياته .

٨ ـ ولولا صروف الحياة وآلامهـا ، ما كنا نرى الطفـل حين ولادته باكيا . فهو يتوقع ما سيناله من أتعابها .

٩ ـ أذن فما الذي يبكيه ؟ فأنه يخرج من مكان ضيق الى مكان رحيب .

١٠ ـ ان عزائي الوحيد ، عن ذهاب شـبابي ، أني عـالم بأني سوف أغادر الحياة ، ولا أخلّد فيها .

١١ـ وان الشيب هو توعد بالهرم والموت ، وقد قال بعضهم أنه يتوعد صاحبه ويهدده بالفناء .

كان أبن الرومي أكولا مفرطا فى حبه للحلواء والفاكهه ، فقد سجل لنا فى شعره كثيرا من الأكلات واصفا أشكالها وطعومها واليك نماذج من أشعاره تلك :

قال في وصف سمك الشبوط

فلا يبعد الشبوط من متلبس
طهارته الحسنى ، ومن متجرد

أذا نشّ في سفوده عند نضجه
وأخرج من سرباله المتورد

فتى رعى مرعىً بدجلة محضياً
الى أن يراه زائد غير محمد

الى أن أصابته من الدهر نوبة
وقد صار أقصى منية المتجرد

فأصدره الصياد من خير موردٍ
وأورده الشواء أخبث مورد

وجاء به الحمّال أطيب مطعم
الى الطيب المنفاق غير المصرد

ويا حبذا امعاننا فيه ناضجا
كما جاء من تنوره المتوقد

وانى لمشتاق الى عود مثله
وان كنت أبدي صفحة المتجلد

شرح الابيات :

١ ــ لا أبعد الله عنا سمك الشبوط ، وهو فى شكله الحسن سواء قبل شيه ، وهو بعد تام النظارة ، أو بعد أن يشوى فيكون متجردا عنها •

٢ ــ أذا ما راح ينضج ويحمر وهو فى سفوده ، وبعد أن يخرج من جلده المتورد ، لان لون السمك الشبوط يميل الى اللون الوردي •

٣ ــ كان ذا لحم فتي ، لانه رعى فى مكان خصب بدجلة حتى رآه الصائد فأصطاده •

٤ ــ ظل فى نهر دجلة يرعي دونما خوف ، حتى أصابه الدهر بما أصاب غيره ، بعد أن صار منية من يريد الجيد من السمك •

٥ ــ حتى أخرجه الصياد من مورده ، وكان خير مورد ، وأسلمه الى الشواء ، وهو أخبث مورد ومكان •

٦ ــ ما فتى وأكتمل نضوجه ، فجاء الحمال يحمله الينا والى من سيدفع ثمنه ، وهو من الكرماء الذين كان الكرم سجية من سجاياهم •

٧ ـ وكم كان جميلا ساعة مدت اليه الايادي ، وتلقفته الافواه ناضجا طريا ، وقد جاء لتوه من التنور •

٨ ـ واني لكثير الشوق الى أكله اخرى ، وأن كان يبدو عليَّ التصبر والتجلد •

الدجاجة

١ ـ وسميطة صفراء دينارية
ثمنا ولونا ، زفها لك جزور

٢ ـ عظمت فكادت ان تكون أوزّة
ونوت ، فكاد اهابها يتفطر

٣ ـ ظللنا نقشر لحمها عن جلدها
وكأن تبراً عن لجين يقشر

شرح الابيات :

١ ـ رب دجاجة أبعد عنها ريشها ، فبدت صفراء ، دليلا على ما كانت تختزنه تحت جلدها من دهن • يكاد يشتعل لونها

---

١ ـ السميط : الحيوان جرد من صوفه أو ريشه •

٢ ـ جزور : غلام يحمل هذا الاسم •

كما يبرق الدينار الذهبي ، ذات سعر غـالٍ ، حملها لنـا حزور (أسم غلام) .

٢ ــ يكاد الناظر ايهـا يحسبها اوزة ، لكبر حجمها ، حتى كاد جلدها يتفطر ، لضخامة حجمها .

٣ ــ بقينا نبعد جلدها عن لحمها ، وكأننا كنا تفصل ذهبا عـن فضة ، فجلدها كان احمر اللون ، اما لحمها فكان أبيضـا (ويبدو انها كانت دجاجة مقلية) .

النرجس

يا حبـذا النرجس ريحـانة
لأنـف مغبـوق ومصـبوح
كـأنه مـن طيب أرواحـه
ركـب مـن روح ومن روح
يا حسـنه في العين يا حسـنه
من لامـح للشـرب ملمـوح
كأنمـا الطـل على نـوره
مـاء عيـون غير مسفوح

شرح الابيات :

١ ـ ما أحيلى رائحة النرجس ، وما أعبق ارياحه للأنف ، صبح مساء .

٢ ـ لطيب رائحته ، كأنه تكون من النسائم ومن الارواح .

٣ ـ ما اعظم حسنه ، وخاصة في مجالس الشرب والأنس .

٤ ـ اذا ما رأيت الندى صباحا على أزهاره البيضاء حسبت ذلك الندى ، دموعا لم تذرف بعد .

فواكه أيلول

لولا فواكه أيلول اذا أجتمعت

من كل نوع ، ورق الجو والماء

اذاً لما حفلت نفسي متى أشتملت

عليَّ هائلة الجالين عبراء

يقول : لولا الفواكة اللذيذة المتنوعة ، وصفاء الجو وعذوبة المياه في شهر أيلول وما يليه من الشهور ، لما كنت أحفل ولا اهتم بالموت والفناء .

لكن حبي لتلك الفواكة هي التي جعلتني أكترث بالحياة وأهتم بها ، وأتشبث بالعيش .

المـوز

١ ـ انه الفوز مثل ما فقده المو
ت ، لقد بان فضله لاخفاء

٢ ـ ولهذا التأويل سماه (موزاً)
من أفاد المعاني الاسماء

٣ ـ رب فاجعله لي صبوحا وقيلاً
وغبوقا ، ومـا اسأت الغذاء

٤ ـ نكهة عذبة وطعم لذيذ
شاهدا نعمة على نعماء

٥ ـ لو تكون القلوب مأوى طعام
نازعته قلوبنا الاحشاء

٦ ـ انني لحقيق بالشبع السائغ
من أكله ، وان كان ماء

شرح الابيات :

١ ـ أنه فوز قبل ان يكون موزا ، وفقده كالموت ، ولقد ظهر فضله وعظم مذاقه . لا جدال في ذلك .

٢ ـ لهذا سموه موزا لقرب لفظه من الفوز ، والاسماء لها صلة وثيقة بالمعاني •

٣ ـ يا ألهي أجعله طعامي في كل وقت ، وسيظل طعمه حلوا ولو تناولته في كل وقت •

٤ ـ لانه ذو مذاق وطعم لذيذين ، فهما شاهدان على مزاياه بالاضافة الى مزاياه الاخرى •

٥ ـ لو كانت القلوب مستقر الاطعمة ، لكان هناك نزاع ما بينها وبين المعدات ، لغرام كل منهما به •

٦ ـ أنه ليشبع بعد جوع ، ولو كان تكوينه من الماء •

العنب الرازقي

١ ـ ورازقي مخطف الخصور
كأنه مخازن البلور

٢ ـ لم يبق منه وهج الحرور
ألا ضياء في ظروف نور

٣ ـ لو أنه يبقي مدى الدهور
قرط آذان الحسان الحور

٤ ـ له مذاق العسل المشور
ونكهة المسك مع الكافور
وبرد مسّ الخضر المقرور

٥ ـ باكرته والطير في الوكـور
وعـذر اللـذات في البكـور

٦ ـ بفتيـة مـن ولـد المنصـور
أمـلأ للعيـن مـن البـدور

٧ ـ حتى أتينـا خيمـة النـاطور
قبل أرتفـاع الشمس للذرور

٨ ـ ثم جلسـنا مجلس المحبـور
على ضفافي جـدول مسـجور

٩ ـ ينساب مثـل الحية المذعـور
بين سماطي شـجر مسـطور
فنيلت الاوطـار في سـرور

شرح الابيات :

١ ـ ما أجمل وأحلى مذاق ذلـك العنب ، حتى أنه لشفافيتـه يحسبه الناظر اليه ، أنه مخازن للبلور .

٢ ـ لم تبق منه الشمس وشدة حرارتها شيئا ، اللهم ألا ذلـك

الضياء الذى أحتوته ظروف من نور ٠

٣ ـ لو قدر لـه أن يبقى ، ولم يتلف ، لاتخذت منـه الحسان أقراطا ، يتحلين بها ، لجماله وصفاء لونه ٠

٤ ـ أما طعمه ، فقد شابه فى حلاوته ، العسل الجيد ، أما نكهته فقد سرقها من المسك والكافور ٠ وعندما يتناوله المغرور ، الذى أرتفعت درجة حرارة جسمه ، يشعر بالراحة والبرد ٠

٥ ـ خرجت اليه فى الصباح الباكر ، ونجاح اللذات وطلاوتها يتضاعفان فى مثل هذا الوقت ٠

٦ ـ بصحبة ورفاق ، من أولاد الخلافة ، هم أجمل للعين من رؤيـة البدر ٠

٧ ـ حتى جئنا خيمة الناطور ، قبل أن يذر قرن الشمس ٠

٨ ـ فضمتا المجلس ـ الذي كان السرور حافا به ـ على حافة جدول عامر بالمياه العذبة ٠

٩ ـ كانت المياه فيه تنساب ، أنسياب الحية المذعورة بين صفين من الشجر المنتظم المتسق ٠ فقضينا وقتـا جميلا تحقق من من خلاله ما كنا نصبوا اليه من لذات وسرور ٠

امتزاج روحين

أعانقهـا والنفس بعـد مشوقة
اليهـا ، وهل بعد العناق تدان ؟

والثم فاهـا ، كي تمـوت حرارتي
فيشـتد ما ألقى من الهيمـان

وما كان مقدار الذي بي من الجوى
ليشفيه ما ترشـف الشـفتان

كأن فؤادي ليس يشفي غليلـه
سوى ان يرى الروحين تمتزجـان

النســاء

١ ـ أجنت لك الوجـد أغصان وكثبان
فيهن نوعـان ، تفـاح ، ورمـان

٢ ـ وفوق ذينـك أعتـاب مهـدّلة
سـود لهن من الظلمـاء الـوان

٣ ـ وتحت ذلـك عنـاب تلوح بـه
أطرافهـن قلوب القـوم قنـوان

٤ ـ غصون بانٍ عليها الدهر فاكهة
وما الفواكـه ، ممـا يحمل البان

٥ ـ ونرجسٍ بات ساري الطل يضربه
وأقحـوانٍ منيـر النـور ريان

٦ ـ ألفنّ من كل شيء طيـب حسن
فهـن فاكهـة شتى وريحـان

٧ ـ ثمار صـدق ، اذا عاينت ظاهرهـا
لكنهـا حين تبلو الطعم خطبـان

قنوان : أتخذ الشيء لنفسه .
خطبان : جمع أخطب ، شجر مر

٨ ـ بل حلوة مرة ، طوراً يقال لها
شهد ، وطوراً يقول الناس ذيفان

٩ ـ ولا يدمن على عهد لمعتقد
أنى ؟ وهن كما شبهن بستان

١٠ـ يميل طوراً بحمل ثم يعدمه
ويكتسي ثم يلفى وهو عريان

شرح الابيات :

١ ـ سبب شغفك بالنساء ، لانهن حاكين الاغصان فى الرشاقة والكثبان أردافا ، تلكم الاغصان التفاح والرمان كناية عن الخدود والنهود •

٢ ـ وشبه الشعور بالاعناب السوداء المتهدلة ، وكأن تلك الشعور ، قد استعارت سوادها من الظلمة الحالكة •

٣ ـ فى هذا البيت يشبه الانامل بشجر العناب الرخص الاحمر بهذا الجمال أستطاع النساء أن يمتلكن قلوب الرجال •

٤ ـ أجسامهن كأغصان البان ، ومن عجب أن غصن البان لا يثمر ولكن هذه الاغصان تثمر ـ يقصد جسوم النساء •

ذيفان : السم •

٥ ــ النرجس أشارة الى العين ، فقد ظل الندى يتساقط عليه ، أما القم فهو يشبه ورد الاقحوان ، أو ربما أراد بياض الاسنان .

٦ ــ لقد أمتلكن كل شيء جميل ، فأخذن من الفواكه طعومها ، ومن الريحان رائحته الذكية .

٧ ــ هي في ظاهرها ثمار تسر النفس برؤيتها ، ولكن باطنها مر علقم ، يشير الى تقلب أحوال النساء .

٨ ــ هو حلو طوراً مستساغ الطعم ، وفي بعض الاحايين كالسم

٩ ــ فدوام الحال من المحال مع النساء ، وكيف ذلك ؟ وهن كالبستان .

١٠ــ فالبستان يحمل الثمر ، ويكتسي به ، ولكن سرعان ما يفقده ، وكذلك حال النساء ، تعطيك من اللذائذ ما تعطيك ، ولكن سرعان ما ينقلب الود الى بغض وهجر .

عتاب موجه الى آل وهب

١ ــ تخذتكم درعـا وترسا لتدفعـوا
نبـال العدى عني ، فكنتم نصالها

٢ ــ وقد كنت أرجو منكم خير ناصـر
على حين خذلان اليميـن شمالهـا

٣ ــ فأن أنتـم لم تحفظـوا لمودتـي
ذمامـا ، فكونوا لا عليهـا ولا لهـا

٤ ــ قفوا موقف المعذور عني بمعـزل
وخلوا نبـالي والعـدا ونبالهـا

٥ ــ هي النفس أمـا أن تعيش بغبطـة
وألا فغنم أن تـزول زوالهـا

شرح الابيات :

١ ــ لقد كنت أعتقد أنكم حماة لي وفي صفي ضد أعدائي فاذا بكم تشابهون اعدائي في الكيد لي ، والانقضاض عليّ •

٢ ــ وكنـت أرى فيكم خير نصير لي ومعيـن ، فاذا بكـم تخذلونني •

٣ ـ فان كنتم قد أنكوتم حبي لكــم ؛ وتناسيتم مودتي ، فلا تكونوا لي أعداء بل ما أطلبه منكم أن تقفوا محايدين •

٤ ـ قفوا بعيدا عني ، وأتركوني أنا وأعدائي •

٥ ـ فالحياة أما أن تكون رضية مبهجة، وألا فالاحسن والافضل أن تزول وتذهب •

ولنستمع أليه الان يصف لنا أحدبا ، ساخرا به وبعلته ،

قصــرت أخادعــه ، وطال قذالــه
فكأنــه متــربص أن يصفعــا
وكأنمــا صــفعت قفــاه مــرةً
فأحــسَّ ثانيــة لهــا فتجمعــا

الاخادع : جمع أخدع : هو عرق فى جانب العنق
القذال : ما بين الاذنين من مؤخر الرأس

قال يبكي البصرة ، بعد أن خربها الزنج سنة ٢٥٧هـ .

عرجا صاحبيّ بالبصـرة الزهر
ـراء تعريـج مدنف ذى سـقام
فأسألاها ــ ولا جواب لديهـا
لسؤالٍ ، ومَن لهـا بالكلام ؟
أين ضوضاء ذلك الخلق منهـا
أين أسـواقها ذوات الزحـام ؟
أيـن تلـك القصـور والدور فيهـا
منشـآت فى البحـر كالأعلام ؟
أين تلـك العصور الدور فيهـا
أين ذاك البنيـان ذو الاحكام ؟
بدلت تلكـم القصـور تـلالاً
من رمـاد ، ومن تـراب ركام
وخلـت من حلولهـا فهـي قفر
لا تـرى العين بين تلـك الآكام

---

١ ــ عرجا : مرا ، ميلا .
٢ ــ ركام : الانقاض المتراكمة

غير أيدٍ وأرجلٍ بائنات

نبذت بينهن أفلاق هام

ووجوه قد رملتها دماء

بأبي تلكم الوجوه الدوامي

وطئت بالهوان والذل قسراً

بعد طول التبجيل والاعظام

فتراها تسفي الرياح عليها

جاريات بهبوةٍ وقتام

خاشعات كأنها باكيات

باديات الثغور لا لأبتسام

هذه دمعة سفحها الشاعر على البصرة يوم قضت على عماراتها

---

٣ ـ الحلول : النازلون ، الساكنون

٤ ـ أفلاق هام ـ رؤوس مهشمة

٥ ـ رملتها : جعلت لونها كلون الرمل

٦ ـ تسفى : تمر

الهبوة : الرياح المثيرة للغبرة

قتام : الغبار

ورجالها ثورة الزنج المشهورة ، وآهه منطلقة من الفؤاد تبكي ما حل بهذه المدينة .

وأظنني لا حاجة الى شرحها ، فهي واضحة المعاني – سوى بعض الكلمات الصعبة شرحناها في الصفحة السابقة .

وقال يرثي ولده الاوسط محمد :

بكاؤكما يشفي ، وان كان لا يجدي
فجودا ، فقد أودى نظيركما عندي

الا قاتل الله المنايا ورميها
من القوم حبات القلوب على عمد

توخى حمام الموت أوسط صبيتي
فلله كيف أختار واسطة العقد

على حين شمت الخير من لمحاته
وآنست من أفعاله آية الرشد

طواه الردى عني فأضحى مزاره
بعيدا على قرب قريباً على بعد

لقد قل بين المهد واللحد لبثه
فلم ينس عهد المهد أذ ضم في اللحد

ألح عليه النزف حتى أحاله
الى صفرة الجادي من حمرة الورد

وأني وأن متعت يأبنيَّ بعده
لذاكرة ما حنت النيب من نجد

وأولادنا مثل الجوارح أيها
فقدناه كان الفاجع البين الفقد

شرح الابيات :

١ ـ يخاطب عينيه ويقول لهما : ان بكاؤكما قد يهون ، ويقلل من اللوعة غير انه لا ينفع ، لانه لا يرد ما فات . فأبكيا ولا تنقطعا عن البكاء ، فقد فقدت شبيهكما في المكانة من نفسي .

٢ ـ تعساً للموت ، الذي ، يفاجأ الناس والخلق فينتزع منهم أعز ما يمتلكون ، ويخطف منهم أغلى من يحبون .

٣ ـ لقد أختار الموت أبني الاوسط ، فيا عجبي كيف استطاع ان يتسلل ويختار أعز اودلاي وأحبهم الى نفسي .

٤ ـ بينما رحت أتوسم الخير من حركاته وسكناته ، وأسترحت الى تصرفاته الرشيده .

٥ ـ أخذه الموت مني ، فأصبح بعيدا عني ، ولو كان قبره قريبا مني فأنى لي ان أراه وقد طواه الردى .

٦ ـ لم يطل به العهد فلا يزال صغيرا ، حتى انه لم يفرق ـ يوم أنزل في لحده ـ بين مهده ولحده .

٧ ـ لقد أصيب بالنزيف ، ولكثرة ما نزف ، فقد تغير لونه ، وتحول الى الاصفرار ، بعد ان كان محمرا .

٨ ـ ولو ان لي أبنين بعده ، ألا ان ذكراه سوف لاتغيب عن مخيلتي ، وسوف أحن اليه حنين النوق المسنة الى فصائلها .

٩ ـ فأولادنا تماما يشبهون جوارحنا ، فكل جارحة تفتقد بعد زوالها ، ولا تعوض الواحدة عن الاخرى .

تكلمنا سابقا عن مدى طول باع صاحبنا في الهجاء والسخرية وسنعرض لك ـ عزيزي القارىء ـ بعض الصور . قال في أكول :

البصرى الأكول

وأما يد البصري في كل صفحة
فأقلع من سيل ، وأغرف من رفش

أأوعده بالشعر وهو مسلط
على الأنس والجن والطير والوحش

ألم أره لو شاء بلع تهامة
وأجبالها ، طاحت هناك بلا أرش

على أنه ينعي الى كل صاحب
ضروساً له ، تأبى على الثور والكبش

يخبر عنها أن فيها تثلماً
وذلكم أدهى وأوكد للجرش

أ لم تعلموا أن الرحا عند نقرها
وتجريشها ، تأتي على الصلب والهش

شرح الابيات :

١ ـ لقد ابتلى القوم ، بهذا الرجل البصري ، الذى يمتلك يداً قادرة على قلع أقوى الاشياء ، فهي كالسيل ، لا تبقى ولا تذر . فاذا ما تصدر للطعام يتناول اللقم الكبيرة ، التي تستعصي على الرفش (وهو آلة يقلب بها التراب) .

٢ ـ أ يخاف مثل هذا من الشعر ، وقد سلطه الله ـ سبحانه وتعالى ـ على كل خلقه من أنس وجن وطير ووحش ؟ .

٣ ـ فأنه ـ لو أحب ـ أبتلع تهامة وما تحتويه من جبال دونما ان يدفع على ذلك بدلا أو ديـة .

٤ ـ مع هذا النهم ، وهذه المقدرة على ازدراد الاطعمة ، فهو يشكو من اسنانه وضروسه ، التي تأتي على الكبش والثور دون تلكؤ أو عجز .

٥ ـ هو دائم الشكوى من أسنانه تلك ، مدعيا أن فيها تلثما ، وهذا يسهل عليه الطحن والجرش .

٦ ـ فالرحا ـ وهي أداة من أدوات الطحن ـ يقوى عملها عند نقرها ، فعندئذ تأتي على الصلب والهش .

الغثّ والسمين

لنا صديق كلا صديق
غثّ على أنه سمين

من أقبح الناس لا أحاشي
من كان منهم ، ومن يكون

أذا بدا وجهه لقوم
لاذت بأجفانها العيون

كأنه عندهم غريم
حلت عليهم ديون

وهو على ما وصفت منه
متهم وده ظنين

الابيات واضحة ، لا تحتاج الى شرح .

الغث : الضعيف .

الظَنين : البخيل .

الارش : الديّة .

وقال هاجيا ومقارنا

وجهك يا عمرو فيه طول
وفي وجوه الكلاب طول

مقابح الكلب فيك طراً
يزول عنها ولا تزول

وفيه أشياء صالحات
حماكها الله والرسول

والكلب وافٍ وفيك غدر
ففيك عن قدره سفول

وقد يحامي عن المواشي
وما تحامي ولا تصول

ما أن سألناك ما سألنا
ألا كما تسأل الطلول

صمّت وعيت فلا خطاب
ولا كتاب ولا رسول

مستفعلن فاعلن فعول
مستفعلن فاعلن فعول

بيت كمعناك ليس فيه
معنى سوى أنه فضول

في هذه الابيات يبدو الشاعر ـ كالعادة ـ غائصا على

المعاني مستجمعا دقائق الصورة ، ليخرج بالتالي بصورة شبيهة بالكاركيتر ــ صورة مضحكة ساخرة ، فلقد شبهه بالكلب ، ولكن للكلب فضائل ، جردها من عمرو هذا .

واخيرا فقد أثبت للكلب صفات خيرة لم يمتلكها هو وها هو في البيتين التاليين يصف أنسانا بالثقل والبرودة .

يا أبا القاسم الذي ليس يدري
أرصاص كيانه أم حديد
أنت عندي كماء بئرك في الصيـ
ـف ثقيل يعلوه برد شديد

الاصدقاء

١ ــ عدوك من صديقك مستفاد
فلا تستكثرن من الصحاب
٢ ــ فأن الداء اكثر ما تراه
يحول من الطعام والشراب
٣ ــ أذا أنقلب الصديق غدا عدوا
مبيناً ، والامور الى انقلاب
٤ ــ ولو كان الكثير يطيب كانت
مصاحبة الكثير من الصواب
٥ ــ وما اللجج الملاح بمرويات
وتلقي الري في النطف انعذاب

شرح الابيات :

١ ــ كثيرا ما يستفيد عدوك من صديقك ، بأن يأخذ معلومات منه عنك ، فالأحسن ان لا تكثر من الاصحــاب .

٢ ــ فأكثر الامراض ، انما تصابنا من الاطعمة والاشـربة ، فهي ضرورية لبقاء الجسم ، ولكنها في الوقت مصدر لكثير من الامراض وكذلك الصديق ، فهو ضروري للنفس كضرورة الطعام للجسم ولكنه مع هذا يحمل الاخطار اليك .

٣ ــ اما اذا انقلب الصديق الى عدو ، فيستطيع ان يهاجمك من ثغرات الضعف في شخصيتك ، لانه يحيط علما بكل شيء يتصل بك .

٤ ــ ولو ان الكثرة من كل شيء امر طيب ، لكان كذلك الكثرة من الصحاب أمر محبوب ، ولكننــا نعلم ان المغــالاة في الامور أمر ذو نتائج غير محمودة .

٥ ــ وأكبر دليل ، ان الامواج المتلاطمة المالحــة في اعماق البحر لا تروي ، ولكن التي تروي تلك النغب العذاب من الماء .

خاتمــة :

كان العصـر الذى عاش فيــه أبن الرومي ، عصـرا حافلا بالمتناقضات ففي القرن الثالث للهجرة ألتقت أمــواج الحضــارة لتتلاطم فى هذا الجزء من العالم الاسلامي ـ العراق ـ . فكان هناك صراع ما بين القديم والعلوم الحديثة ، بين الفلاسفة والعلماء الطبيعيين والرياضيين ، وبين علماء الفقه والشريعة ، كما ان هناك حقد وضغينة بين الطبقات الفقيرة المعدمــة ، والطبقات الاخرى المتخمة ، وكان هناك كذلك صراع ظاهر وخفي بين العرب أصحاب السلطة الشرعيين والشعوب الاخرى التي دخلت الاسلام ، علما ان الاسلام قد سـوى بين الشـعوب على اختلافها وجعل اسباب المفاضلة التقوى والايمــان « ان أكرمكـم عند الله أتقاكـم » « الناس سواسية كأسنان المشط » « لا فضل لعربي على أعجمي ألا بالتقوى » وغيرها من الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة للتي أشارت الى هذا المعنى . ولكن مع كل هذا لم تقتنع بعض الشعوب بما ورد في القران الكريم والسنة الشـريفة فراحت تعمـل سـرا لتقويض الخلافة العربية أنتقاما وحقدا على العرب الذي قرضـوا ممالكهم ، وهدموا عروش الظلم والوثنيــة مستبدلين أياهــا ، بالايمان والتوحيد ، يقول المرحوم العقاد « لا جرم يكون ذلك العصرعصر الحيرة والانتظار ، ولا جرم تتأهب فيه النفوس لدعوة الجماعات السرية ، وتتعلق الامال بالمهدي المنتظر والمصلح الاكبر . الذى يغسل الارض بالدماء .. ولا جرم يكون ذلك العصر هو عصـر (بابك الخرمي ، وداعية الزنج ، والقرامطة) وغيرهم من

الثوار وأصحاب المذاهب » •

اذا كان القرن الثالث قرن اضطراب وهيجان ، فقد تعددت المذاهب الفلسفية ، والفرق الكلامية ، وما أحدثته هذه الفرق من تخلخل في الفكر العربي الاسلامي ، وخاصة ما أحدثته فرقة المعتزلة من تصدع ، يوم طلعت على الناس برأيها الخطير وهو « خلق القرآن » مدعية ان صفات الله سبحانه وتعالى ليست هي من ذاته ، ولما كان الكلام صفة ، لذا كان القرآن الكريم مخلوقا وليس أزليا كذات الله تعالى • وقد أحدث هذا الرأي خلافا خطيرا ، وانشقاقا بين المجتمع الاسلامي ، وخاصة عندما كان يتحيز لهذا الرأي خليفة كالمأمون ، فقد طورد أهل السنة الذين كانوا يقولون بأزلية القرآن وقدمه ، ثم يتغير الحال عندما يميل الخليفة المتوكل الى رأي أهل السنة ويجافي المعتزلة ورأيهم في خلق القرآن ، فتنعكس الآية فيصبح الامر والنهي بيد اهل السنة، لان الخليفة معهم ، فيصبح المطارد مطاردا ، والمغضوب عليهم سابقا من اهل السنة مقربين معززين •

مثل هذه الخلافات كان لها الاثر الكبير في ضعضعة المجتمع العربي والأدهى من ذلك ، ان مثل تلك الخلافات ، كانت تستغل من الشعوبيين اعداء العرب والاسلام أيما أستغلال ، وقصدهم الوحيد هو نشر البلبلة والفوضى ما بين الصفوف ، ليتسنى لهم حبك المؤامرات ضد الخلافة العربية ، وبالتالي الانقضاض على الدولة والقضاء عليها • ومما يؤسف له ان مخططهم هذا قد نجح ، ولم يمض وقت طويل حتى كانت اعلام الدولة البويهية

الفارسية ترفرف على فارس ، وعلى العراق مقر الخلافة العربية الاسلامية .

أما الخلفاء الذين هم يمثلون السلطة العليا فى المجتمع ، فلقد ترك بعضهم المهمة الملقاة على عاتقه ، وهي النظر في مصالح الرعية والسهر على استقرار الامن والعدل ، وأنغمس فى الشهوات والرذائل ، فراح يعب منها ليل نهار ، ذكر ياقوت فى معجم الادباء عن يزيد بن محمد المهلبي قال « رأيت علي بن يحيى قد دخل على المتوكل فى غداة من الغدوات ، التي سهر فى ليلتها بالشرب ، وهو مخمور يفوح حرارة .... وقال يا مولاي : اما ترى اقبال هذا اليوم وحسنه واطباق الغيم على شمسه ، وخضرة هذا البستان ورونقه ، وهو يوم تعظمه الفرس وتشرب فيه لانه هرمز روز (هو يوم هرمز آله الخير) ، ووافق ذلك ياسيدي ان القمر مع الزهرة ، فهو يوم شرب وسرور فهش اليه وقال : ما أقدر ان افتح عين خمارا ، فقال : ان دعا سيدي بالسواك فاستعمله وغسل بماء الورد وجهه مبردا بالثلج ، أنحل كل ما يجد ... وبعد كلام طويل قال : فلما أكل المتوكل وأكلنا نهضنا فغسلنا أيدينا وعدنا الى مجالسنا ، وغنى المغنون ، ما بالك بخليفة يواصل ليله بنهاره وهو مخمور فاقد الوعي ؟ كيف يتسنى لمثل هذا ان يعدل في أحكامه ؟

لقد ترك مثل هذا الخليفة الامر للوزير او القائد يفعل ما يريد وراح هو يواصل عبثه ومجونه . ولقد استغل هؤلاء الوزراء والقادة ضعف الخلفاء وميلهم الى الخلاعة واللهو ،

فراحوا يحكمون الرعية كما يحلو لهم ، علما ان اكثرية هؤلاء الوزراء والقادة هم من الفرس او الترك .

لهذا استطاع القادة الاتراك ان يغتالوا هذا الخليفة (المتوكل) بعد ان حرضوا ابنه عليه واعدين اياه بالخلافة بعد أبيه .

اما سوق العلم والادب فقد كانت كاسدة ، فكاد الغنى والثروة محصورة في طبقة معينة لا يتعداها الى غيرها ، هي طبقة الخلافة والحاشية وطبقة الجند والقادة والموظفين والتجار ، فكانت الثروة محصورة في أيادي هؤلاء .

قال ابن قتيبة في مقدمة كتابه (ادب الكاتب) يصف حالة عصره ، وكان هذا معاصرا لشاعرنا ابن الرومي .

« اني رأيت اكثر اهل زماننا هذا عن سبيل الادب ناكبين ، ومن اسمه متطيرين ، ولاهله كارهين . اما الناشيء منهم فراغب عن التعلم والشادي تارك للازدياد ، والمتأدب في عنفوان الشباب ناس او متناس فالعلماء مغمورون ، وبكرة الجهل مقموعون ، حين طوى نجم الخير وكسدت سوق البر ، وبارت بضائع أهله ، وصار العلم عارا على صاحبه والفضل نقصا ، وأموال الملوك وقفا على شهوات النفوس ... الى ان يقول فابعد غايات كاتبنا في كتابته ان يكون حسن الخط قويم الحروف ، وأعلى منازل أديبنا ان يقول من الشعر أبياتا في مدح قينة او وصف كأس ، وأرفع درجات نطيفنا ان يطالع شيئا من تقويم الكواكب ، وينظر في شيء من القضاء والمنطق ، ثم يعترض على

كتاب الله بالطعن وهو لا يعرف معناه ، وعلى حديث رسول الله بالتكذيب ، وهو لا يدري من نقله » .

نحن لا نتفق مع ابن قتيبة في هذا الوصف ، فلقد كانت هناك علوم وكان هناك شعر وصف كل شيء ، وتكلم عن كل شيء .

ولكن اوردت هذا النص ، لما فيه من أشارات وتلميحات الى عدم أكتراث الخاصة بالادب والشعر . ونحن نجد مثل هذه الشكاوى من الادباء والشعراء تتردد في كل عصر وزمان ، فهم يتوجعون من عدم الاكتراث بهم وبآدابهم واشعارهم .

وأظن ان شعورهم هذا نابع من اعتقادهم بتفوقهم على غيرهم من التجار والموظفين الذين كانوا يرفلون في حلل السعادة والثراء وقد حرموا هم منها ، يقول أبن الرومي شاكيا ، ومقارنا بين عيشه وعيشة غيره من الناس .

أبعدما أقتطعوا الاموال واتخذوا
حدائقا وكروما ذات تعريش
يحاسدوني ، وبيتي بيت مسكنة
قد عشعش الفقر فيه أي تعشيش

وأعود الى شاعرنا ، فأقول انه كان دائم الشكوى من الزمن الذي وقف سداً منيعا ضد تطلعاته وآماله بل بالاحرى كان ساخطا على الناس تبرماً بهم ، قال :

ذقت الطعوم فما التذذت براحة
من صحبة الاخيار والاشرار

اما الصديق فلا أحب لقاءه
حذر القلى وكراهة الاعوار

وارى العدو قذى فاكره قربه
فهجرت هذا الخلق عن أعذار

لقد اتفق النقاد على ان ابن الرومي كان ضيق الخلق ، مختل الاعصاب عبوساً متشائماً ، يضيق بالناس ، ويتبرم بالحياة ، وهناك اسباب دفعت به الى ان يتصف بهذه الاوصاف . منها :

١ ـ قصة ولائه لبني العباس :

كان ابن الرومي مولى من موالى بني العباس ، ومعنى المولى الحليف ، وكان الموالى أدنى رتبة في النسب من غيرهم ، لانهم لا ينتسبون ولا يوالون غيرهم الا بعد ان يفتقدوا النسب الصريح .

فكثيرا ما كان يشعر المولى بشيء من الغضاضة ، ولو ان بعضهم كان يفتخر جهارا بهذا النسب ، ولكن شعورهم الداخلي كان يضيق بهم لانهم موالى : قال ابن الرومي مفتخرا بولائه وبنسبه الرومي :

أنا منهم بقضاء من ختمت
رسل الآله به وهم أهلي

الاعوار : العيوب
القذى : ما يقع في العين فيجعلها تدمع .

مولاهـم وغـذى نعمتهـم

والروم ــ حين تنصّني ــ أصلي

(حين تنصني : حين تنسبني) فهو يفتخـر بأنه مولى لبني العباس وأنه ربيب نعمتهم ، لانهم من اهل النبوه ، ولكنه يعـود ويذكر أصله ، فيقول ولكنك لو نسبتني لرأيت الروم أصـلي ، فالموالاة كانت تؤذى المولى ، ولكنه كان مدفوعـا اليها لاسباب منهـا ، الاحتماء بالاقوياء ، والعيش بعيدا عن الخوف والهلـع ، او ان يكون السبب الطمع في مال أو جاه ولكن يبقى الشـعور الكامن في ذات الموالى ، هو شعور الصـغار والمهـانة لانه مـا التجأ الى نسب الغير الا بعد ان افتقد النسب وكثيرا ما كان يعيّر أمثال هولاء بولائهم هذا .

كان هذا الولاء سببا من أسباب ضيق ابن الرومي ، وربما ثورته على الاخرين ، اعتقادا منه ان القدر قد جرده من النسـب الذي كان له أثره الخطير في تلك الازمان . فكان دائم الشكوى ضيق الصدر يثور لأتفه الاشياء ، يصاحب الصديق ولكنه يبقى على حذر من تلك المصاحبة ، وكانت اخلاقه هذه قد صرفت عنه ممدوحيه .

كان فقيرا معدما ، وربما كان لهـذا الفقـر أثر في تكوينه النفسي (فقد كاد الفقر ان يكون كفرا) والانسان المعدم تعتوره بعض النوبات النفسية القلقة ، وقـد يركبه التشـاؤم في بعض الاحايين ، يروى عن الجاحظ ، انه عندما كان يلقى درسـا على

طلبته ، دخلت عليه جاريته وهمست في أذنه ، لقد نفذ الطحين ، فظل الجاحظ ــ وهو على علو كعبه في الادب ــ ساهماً فترة من من الوقت ثم رفع رأسه مخاطبا تلامذته ــ أخرجوا فقد نفذ ما في عقلي) .

نعم ان الفقر احيانا يبعث في النفس الحسد والضغينة وغيرهما من الصفات الرذيلة ، وربما ان الحسد الذي اتصف به شاعرنا كان مرده للحالة التعسة التي كان يحياها .

فقد كان يرى بأم عينيه أناسا جهلة يغوصون في النعيم ويسبحون في الجاه والثراء ، وعندما يلتفت الى نفسه ــ وهو الشاعر الفطن الفهم الحاذق ــ فيرى الفقر مخيما على حياته والعوز يكاد يقتله قتلا ، لابد ان ينتقم ويحسد ويثور ، وكان صاحبنا مختل الاعصاب ضعيفها ، لا يستقر على حال ، ولا يثبت على مذهب ، دائم التخوف من اشياء يتوهمها هو . ودون شك ان لمرضه وضعف اعصابه أثرهما الكبير فى تشاؤمه وتطيره وخوفه ، لان المريض ، وخاصة اولئكم الناس الذين لازمتهم العلة ، ورافقهم المرض ، يتشبثون بكل شيء للخلاص من أمراضهم وعللهم ؛ فهم سريعوا التفاؤل اذا ما شاهدوا من الاشياء ما يدفع الى التفاؤل ، فقد يتوهم امثال هؤلاء انهم لو صبحوا بوجه جميل عاشوا يومهم ذاك في هدوء وسرور ، وسيقضون يوما مليئا بالمسرات .

وهم سريعوا التشاؤم ، اذا ما لاحظوا شيئا يدعو الى

التشاؤم فقديري بعضهم انهم لو صبحوا بوجه قبيح ، عاشوا يومهم ذاك في تعب متصل • وما زال هذا الشعور يصاحب الكثرة الكاثرة من ابناء البشرية على اختلاف ثقافاتهم ودياناتهم وأجناسهم لذا كان لمرض ابن الرومي وضعف أعصابه ، الاثر الكبير في قلقه وتفاؤله وتشاؤمه ، واعتقاده بكثير من الخرافات ، التي استولت على كيانه فراح يؤمن بها كل الايمان ، حتى صار في الاخير ندرة للمتندرين ، وغرضا للعابثين ، يلاحقونه احيانا ويضايقونه احيانا • وهم يظهرون البه ، او يقصون عليه ما كان يتشاؤم منه الشاعر ، فكثيرا ما نراه يترك مجلسا او يغادر محلا ، لانه سمع فيه شيئا لا تهوآه نفسه او رأى فيه منظرا لا تسر له عينه •

وهكذا نجد شاعرنا ان هواجسه تلك قد جعلت منه هدفا للعابثين المستهزئين •

اما الطيرة التي عرف بها ، فقد كانت ملازمة له ملازمة الشيء لظله • فقد كان صاحبنا متطيرا ترعبه آتفه الاشياء ويخاف أوهاماً لا وجود لها الا في مخيلته •

قد يكون ما ذكرنا سابقا من الاسباب التي دفعته الى التهيب والتخوف ، لان المرض قد يدفع صاحبه ان يخاف من بعض الاشياء ويبتعد عنها ، وان يرغب في بعض الاشياء ويقترب منها • وما أظنه ؛ ان صاحبنا كان مريضا نفسيا • لانه كان يعاني من شعور داخلي كان يدفعه الى الخوف والتطير •

ومما زاد الطين بلّة ، ان فقدانه لاولاده ولأمه ولأخيه فجر هذا الشعور وحركه في نفسه .

فمفارقة الاعزاء والاحباب ليست بالامر الهين ، فقد تترك في كثير من الأحيان مشاعر غريبة وخوفا من المستقبل ، الذي قد يحمل في طياته من المآسي والاحزان ما لا طاقة له به .

وفعلا ان أبن الرومي بعد فقده اولاده الثلاثة ، الذين رثاهم أرق رثاء وبكاهم بكاء مراً ، مصوراً في رثائه ذلك كل مشاعر الأبوة الصادقة ، وكيف كان يفتقدهم الواحد تلو الاخر ، ويتذكر الامكنة التي كانوا يلعبون فيها وهم اطفال صور كل ذلك بشعره تصويرا صادقا .

أعود فأقول ان وفاة الأبناء ــ وهم أعز على النفس من اي شيء ولله درّ القائل :

وانما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الارض
لو مالت الريح على بعضهم لامتنعت عيني عن الغمض

فكيف أذن لو فارقناهم الى الابد ؟

أنها فجيعة تترك فى النفس الحسرات ، وفى الروح الآلام والتأوهات فكيف بمن فقد الاولاد والزوجة والاخ الوحيد ؟ وبقي وحيدا لا جليس له ألا أشباح أولئكم المفقودين الذين كثيرا ما ملأوا العين برؤياهم ، وأشبعوا الخاطر بمساكنتهم والتعايش معهم ، فاذا بالدهر يلتهمهم فجأة ويبعدهم عنه الى الابد .

كان لذلك أثره البارز فى تخوفه وتطيره ، لانالانسان أبن بيئته وظروفه • وقد كان شاعرنا كذلك أبن البيئـة التي عاشها بكل ملابساتها ، وأبن الظروف التي مرت به •

والمعروف كذلك عن شاعرنا أنه كان يحب الحياة وطيباتهـا لقد صور ذلك فى شعره ، ولكن الظروف حالت دون أن توفر له ما كان يريد ، لذا فهو ناقم على الحيـاة والدهر ، مصورا فقره وحرمانه • فى قصيدة كتبها الىأسماعيل بن بلبل : وزير المعتمد ، منها هذه الابيات :

ويحَ القوافي مالهـا سفسفت
حظي كأني كنـت سفسفتها

حرمت في سـني وفي ميعتـي
قـراي من دنيـا تعيفتهـا

فكرت في خمسين عاماً خلـت
كانـت أمامـي ثم خلفتهـا

لا عـذل في أسـفي بعدهـا
على العطايا ، عفتهـا •• عفتهـا

فهو يتأسف فى هذه الابيات على ما وصل اليه شعره من تدنٍ وكذلك حظه الذى حرمــه من العيش ، فهو يتأسف على عمره الذى فات فأني قد عفت المديح ،وعفت العطايا •

قلنا : ان الانسان أبن بيئته ، فهو يتأثر بكل شاردة وواردة تحصل فى مجتمعه ، وخاصة أولئكم الذين وهبهم الله رفاهة الحس وفيض الشعور •

وعلى هذا المقياس فان الشاعر أبن الرومي كان يمثل البيئة والظروف التي عاشها أصدق تمثيل •

لم يكن يمتلك القدرة على المجازفة ليرتقي المناصب العليا ، كأن يكون شاعرا من شعراء الخلافة كما كان أبو تمام والبحتري لان الوصول الى مثل هذه المراتب وراءها ما وراءها من مصائب ونكبات قد تلحق بالشاعر بعد أن يخلع الخليفة أو يسجن أو يقتل ، فحاشية مثل هذا المتعوس تتعرض كلها للانتقام وكان صاحبنا أجبن من أن يعرض نفسه لمثل هذه المخاطر لذا بقى شاعرنا شبه مغمور بين شعراء عصره الذين نالوا ما نالوا من أعطيات الخلفاء والوزراء والمتنفذين • أضف الى ذلك أعتلال صحته وضعف أعصابه ، فقد كان كل منهما يهول له الامور ، فاذا ما أتخذ قرارا سرعان ما يتراجع عنه ، لان أعصابه المتوترة دائما والمتعبة قد تظهر له الاشياء على عكس ما هي عليه •

واذا زدنا على ما تقدم ما فقده من الاولاد والاهل ، وما تركه ذلك فى نفسه من أثر ، فجعله يتهيب من أي شيء يصادفه ، فهو خائف وجل من أية مشكلة تصادفه يقف أمامها موقف الحائر ، يقدم رجلا ويؤخر اخرى حتى ينتهي الامر الى الفشل فى مجابهة تلك المشكلة •

وأخيرا ما كان يحفل بـه مجتمعه من كذب ورياء ونفاق • فمثل هذه المجتمعات تكون دائما زاخرة بالمنافقين المحابين الذين يستطيعون أن يلبسوا لكل حالة لبوسها •

يروى ان الشاعر البحتري مدح وهجا أربعين شخصية كان يمدح الواحدة منها عندما تكون متـألقة مشهورة حتى اذا ذهب عنها ذلك التألق ، وأختفت تلك الشهرة عاد فهجاها •

فمثل هؤلاء الرجال يكثرون فى تلك المجتمعات • أما الشاعر أبن الرومي ، فكان لا يمتلك القدرة على أن يزج نفسه فى متاهات هو فى غنى عنهـا •

لهذا بقي شاعرنا طوال حياتـه فقيرا معدما ، خائفا وجلا ، يائسا مضطربا ، كأن هناك أشباحا تلاحقه أينما أتجه ، وحيثما حلّ وأرتحل •

والحقيقة ان الرجل المتزن الهادىء هو ذلـك الرجل الذى يستطيع أن يخلق جوا من المواءمة ما بين قدراتـه وبين الواقع الذى يعيشه ، فاذا تحققت تلك المواءمة استطاع المرء أن يعايش واقعه بأمن ، وأن يتجاوب مع البيئة التي يعيش فيهـا ، وحسب تصوري أن أي نجـاح يصيبه المرء فى حياته أنمـا متوقف على التجاوب ما بين تطلعاتـه وبين ما يتطلبه الواقع والمجتمـع من ضرورات وأحكام •

فمتى ما تم هذا التوافق والانسجام ، تحقق المقصــود ، فكللت الاعمال بالنجاح التام .

ومما يؤسف له ان الشاعر أبن الرومي كان يفتقد مثل هذه المواءمة ومثل هذا التوافق والانسجام ، ما بين قدراته وتطلعاته ، وبين ما يتطلبه المجتمع من أخذ ورد ، فلا بد للرجل أن يكون أحيانا مغامرا ، وأن يكون في اوقات اخرى متهيباً حذرا ، وأن لا يقف امام النوائب والاحن موقف المتخاذل الضعيف .

ولكن يبدو وأن صاحبنا لم يكن من هذا اطراز من الرجال ، فعاش حياته فقيرا ناقما متأسفا يسفح العبرات تلو العبرات ويرسل الآهات اثر الآهات ، دون أن يواجــه الواقع مواجهــة الرجال الاقوياء .

مراجع البحث

١ ــ أبن الرومي ، حياته من شعره ــ مطبعة حجازي ١٩٥٠

٢ ــ ديوان أبن الرومي

٣ ــ الشعر والنغم . د. رجاء عيد ، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٧

٤ ــ من حديث الشعر والنثر . د. طه حسين ، مطبعة الصاوي القاهرة ١٩٢٦

٥ ــ رجعة ابي العلاء ــ العقاد ــ مطبعة حجازي ــ القاهرة

٦ ــ الجديد في الادب العربي ــ حنا الفاخوري ، منشورات مكتبة المدرسة ، بيروت .

٧ ــ الفن ومذاهبه في الشعر العربي د. شوقي صيف ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٩

٨ ــ شرح ديوان الحماسة للتبريزي ، مطبعة بولاق ١٢٦٩هـ

٩ ــ فجر الاسلام ، ضحى الاسلام ، أحمد أمين ، مكتبة النهضة

١٠ــ بدايات الشعر العربي بين الكم والكيف ، د. محمد عوني عبدالرؤوف

مكتبة الخانجي بمصر ١٩٧٦

١١ـ العصر العباسي د. شوقي ضيف

١٢ـ العقد الفريد ، أبن عبد ربه الاندلسي

١٣ـ العمدة ، أبن رشيق القيرواني

١٤ـ الرؤوس ، مارون عبود

١٥ـ أمراء الشعر العباسي ، أنيس الخوري المقدسي

* • *

رقم الايداع فى المكتبة الوطنية ببغداد ٤١٠ لسنة ١٩٨٦

١٠٠٠٠ / ٥ نيسان ١٩٨٦

مطبعة عصام ـ بغداد هاتف ٤١٥٤٥٨٢

الفهرس

تنويه: هذا الفهرس ليس من أصل الكتاب ؛ وإنما أعددته تسهيلاً للوصول الى المواضيع .

م. سرمد حاتم شكر السامرائي

كتب للمؤلف :

٢ ـ زهير بن ابى سلمى ، شاعرا وحكيما

١ ـ المتنبي شاعرا وفارسا

هذا الكتاب ـ عزيزي القارىء ـ أعدّ ليكون وجبة شهية ودسمة لمن يرغب أن يطلع على الأدب العربي ورجالاته عن كثب .

فهو يزود القارىء بمعلومات عن الشاعر وعصره ، وينابيع شاعريته التي استقى منها صوره الشعرية .

فهو وجبة طازجة ، تضاف الى مائدة المثقف ، ورؤى جديدة يستعين بها محبو الادب والطلبة في اغناء معلوماتهم وصقل اذواقهم الادبيـة .

(السعر ٧٥٠ فلسا)